

سلسلة
أبحاث التجديد

وليم بيكر

المشترك
أكثرهما تعتقد

ترجمة
محمد أبو الشرف
ربا أجداد

تقديم
د. محمد الحبش



دار ندوة العلماء



مركز الدراسات الإسلامية

مقدمة

حين تدخل إلى مكتبه الفاخر في الكنيسة الكريستالية بلوس أنجلوس يفاجئك ما لم تكن تتوقعه، فمن بين مظاهر الأبهة والفخامة التي تحيط بالمجمع الديني الذي بني بالكامل من الكريستال، ونصبت على حواشيه تحف فنية فريدة تؤرخ لأحداث الأنبياء كما وردت في الكتاب المقدس، حيث ترى موعظة الجبل، وخبر الراعي الصالح، وثورة الفتى الناصري على الفريسيين والكتبة، كل ذلك في شخوص حقيقية بالحجم الحقيقي من البرونز، تتناثر بين حدائق غناء فريدة تسكب نوافيرها الماء في أحواض قرمزية، كأنها لفائف ضمتها نوتة موسيقية محسومة، لا تند منها قطرة عن السبيل الذي رسمت له، وفراشات ترقص فوق زهور تتفتح كأنما رسمها فنان عاشق لليلة ميلاد، من ذلك المشهد الذي يختصر لك أفخم ما قدمته التكنولوجيا في فن العمران، وأعجب ما نحتته في الطبيعة يد الإنسان، في تزواج أسطوري نادر بين الحضارة والثقافة، تدلف إلى مكتب كامب - Camp - حيث يقوم السيد وليم بيكر بممارسة نشاطه في رسالة الإخاء الإسلامي المسيحي.

في مكتبه أنت مباشرة في سفارة فلسطين، سيفاجئك
الرجل الذي يسكن في أورانج كاونتي بلوس أنجلوس أنه يسكن
في الواقع في بيت جالا وبيت حانون والناصره، ويحييك بطلاقة
عربية وكأنه للتو وصل من مخيم اليرموك بعد أن شارك في مظاهرة
لاهبة لدعم القضية الفلسطينية.

في مكتبه خريطة فلسطين بالتمام والكمال من النهر إلى
البحر، وهي خريطة صار مشكوكاً فيها وللأسف (أكاديمياً) في
عدد من الجامعات العربية!!..

وعلى جداره الأيسر كوفية فلسطينية ومسبحة فلسطينية
ونارجيلة فلسطينية، وعدد من الأوسمة التي قدمها له زعماء
بارزون في المقاومة الفلسطينية واللبنانية تقديراً لجهوده وكتاباته في
خدمة فلسطين.

أما أعجب سؤال واجهني لدى حديثي عن شخصية وليم
بيكر فهو: أليس من المريب اندفاع رجل أمريكي من أصول أوروبية
يعيش في وسط مسيحي محكم، إلى نصره القضية الفلسطينية
بهذا الحماس؟!..

وهو أعجب سؤال لأن السائلين هنا حين يبدو استغرابهم من وجود هكذا رجل، يعكسون تلقائياً ريتهم في عدالة قضيتهم أو في فطرة الإنسان، وينبغي - من وجهة نظري - أن يكون التساؤل: لماذا لم يبلغ سائر المثقفين في الأرض رتبة هذا الرجل في الحماس للقضايا العادلة ونصرة المظلومين.

إن الله خلق الإنسان على صورته⁽¹⁾، فطرته النقية أقرب شيء إلى محامد الله سبحانه، وهذا شيء اتفقت عليه الديانات، وإن من سوء الظن بالله أن نتصور شيوع الشر في عباده، حتى يكون هو الأصل ويكون الخير محض حال طارئ!!..

هذا هو باختصار انطباعي عن السيد وليم بيكر من خلال زيارتي له مرتين في لوس انجلوس، ولقائي به هنا في دمشق، وهو انطباع يشاركني فيه الأصدقاء الذين قرؤوا كتابه (Theft Of A nation) وهو الكتاب الذي يتحدث بالتفصيل عن تاريخ القضية الفلسطينية، والمظالم التي مارسها السياسة الأمريكية في دعم الغاصب الصهيوني على حساب أصحاب الأرض من العرب، وقد طبع كتابه عدة مرات، وترجم إلى العربية في دار طلاس بدمشق تحت عنوان (سرقة وطن).

(1) عدلت في هذه الطبعة إلى عبارة صحيح مسلم دفعاً للتوهم الناشئ من رواية المناوي عن أبي هريرة: "إن صورة الإنسان على صورة وجه الرحمن".

وأما كتابه الآخر: (كشمير: وادي الأمل، وادي الموت)

فقد (Kashmir: Happy Valley; Valley Of Death)

كتبه ليدون رحلته الفريدة إلى كشمير، وما صوره بنفسه من معاناة الشعب المسلم في كشمير الذي طوحت به مكائد السياسة فجعلته شعباً يعيش في المجهول، يعاثف القدر العاثر، تسحقه مظالم الهندوس، الذين رأوا فيهم بقية مناسبة للانتقام من الأمة الباكستانية التي قررت ذات يوم أن تنسلخ من القارة الهندية الرازحة بالقهر الثقافي تحت الأفنوم المثلث براهما وأفشنه وسيفا إلى جنة الرسالة الخالدة، أمة: لا إكراه في الدين.

كتابه الجديد (More In Common Than You Think)

نقدمه لك اليوم طليعة إصدارات مركز الدراسات الإسلامية لعام 2002م، يتجه فيه بيكر إلى إثبات حقيقة الجوانب المشتركة بين الإسلام والمسيحية ويشرع في نصب الجسور المتينة بين الثقافتين، على أساس تعزيز المشترك والإعذار في المختلف، وهو منطوق مشهور في الفكر الإسلامي تحت عنوان (نتعاون فيما اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه).

إن الصيغ السائدة في الخطاب التقليدي عن العلاقة مع الآخر تطرح مبدأ نسخ الدين بالدين، وإبطال حكمة السابقين بحكمة اللاحقين، وهذا النمط من الخطاب لا يشبه في شيء المنهج القرآني الذي تكرر فيه قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾⁽¹⁾ في أربعة عشر موضعاً، والذي يشير إلى إخاء الأنبياء في مئات المواضيع من التنزيل العزيز:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: 163-164]

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: 13]

(1) من بعض المواقع: البقرة/97، والمائدة/46-47.

وهنا يتعين القول إن قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾
[المائدة: 48] إنما يراد به أنه جاء مُتَمَمًّا ومكَمَلًا وليس ناسفًا أو
ملغياً أو مبطلاً.

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: 120]

والآيات في مثل هذا المعنى أكثر من أن يحصيها المرء في
مقدمة كهذه، ومن المعلوم أن عقيدة الإسلام ترتكز على خمسة
أركان (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر)، ولا شك
أنك ترى أن ركنين اثنين من أركان الإيمان يتوقفان على العلاقة
بالآخر (الكتاب والنبين) وقد أجمعت الأمة الإسلامية على ذلك
إجماعاً لا يعلم له مخالف.

ولكن التساؤل الذي ينشأ هنا من خلال سؤال بريء: ما هي
الحكمة من وجوب الإيمان بالأنبياء الكرام وكتبهم المقدسة؟!..

إن الجواب البدهي هنا هو أنها إرادة الله في تحقيق تواصل الأنبياء وتكامل رسالاتهم، ولكن بكل تأكيد سيبدو هذا الجواب بغير معنى عندما نكتشف أن الثقافة الدينية السائدة في الوسط المسيحي تتجه إلى عدم الاعتراف بنبوة محمد ﷺ فيما تتجه في الوسط الإسلامي إلى القول بإلغاء الإسلام للشرائع الأولى وهيمنته هيمنة نسخ وإبطال، وهو قول يتبعه بالضرورة إلغاء كل تراث الأنبياء!!..

وهكذا فإن الجواب البدهي لذلك التساؤل البريء يبدو منفصلاً أشد الانفصام مع الواقع الذي اختار التوجيه الديني التقليدي أن يحملك عليه.

ما الفائدة من الإيمان بالأنبياء إذا كان المطلوب أن نواجه أتباعهم بالكراهية؟

وما الفائدة من الإيمان بالكتب إذا كان المطلوب أن نتلف أقلامنا ونبح أصواتنا بالحديث عن تحريفها وتبديلها وتغييرها وتبيان ما فيها من تناقضات؟!..

إن إدراج ركني الإيمان بالأنبياء والإيمان بالكتب يبدو في غير معنى إن نحن مضينا في الإمعان بالحديث عن ضياع شرائعهم، والتأكيد على المختلف بيننا وبينهم، ولو كان ذلك كذلك لكفتنا في ذلك إشارة عابرة إليهم إذ المطلوب حينئذ أن نعلم أن خمسة وعشرين شخصاً عاشوا في مراحل مختلفة من التاريخ بشروا بالإيمان ورحلوا إلى الله، وهو معنى متحقق بكل تأكيد في عشرات الألوف من المصلحين في التاريخ، فما هو المبرر لجعل هذه المعرفة ركناً حاسماً من أركان الإيمان؟..

ما الفائدة من الإيمان بنبوة عيسى إذا كان المطلوب أن نكفر بكل تراثه الباقي، وأن نتبادل صيغ الاتهام والتكفير مع أتباعه إلى آخر الدهر؟!..

وأي غرور بالله أشد من أن تتصور أن بيدك مفاتيح الجنة والنار، وأنت تملك المعرفة جزماً بأهل كل سبيل، مع أننا ننتمي إلى كتاب مقدس يقول: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر: 46]

وننتمي إلى نبي كريم صرح مراراً بقوله: (والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي!!..)⁽¹⁾

إنها مأساة مرة أن يتورط المؤمنون بالحديث عن "احتكار الخلاص" واحتكار الخلاص هذا مرض يذكيه التعصب في كل زمان، وقد سبق لي أن عالجت هذه المسألة في عدد من الأعمال من قبل، ولست أدري إن كان يحق لي أن أدعي أنني سبقت إلى التنبيه إلى هذا المصطلح "احتكار الخلاص" في اللغة العربية وفي اللغة الانكليزية أيضاً (The Monopoly Of Salvation) وذلك خلال محاضرتي التي ألقيتها في جامعة هلسنكي بفنلندا شتاء 1998م بدعوة من الجامعة المذكورة.

ولكن ما المثير في هذا الأمر؟ أليست اللغات الحية قد اعتادت أن تغتني كل يوم بالجديد والمفيد حتى تبقى في نضارتها وحيويتها؟

(1) صحيح البخاري كتاب الجنائز (1186).

إن المسألة يا سيدي ليست نزاعاً لغوياً، تقبل فيه الكلمة أوترد
إنه تحرير مباشر لأخطر مرض تسلل إلى أديان عبر التاريخ،
وحول جهاد رجالها الذي يفترض فيه التكامل والتعاون إلى تنافس
محموم يتعبد فيه دعاة كل دين بنسف إيمان الآخرين.

فهل هذه الفرقة قدر لازم بحيث لا سبيل للخلاص منه إلا
عبر بوابة واحدة يقدرها اتباع كل نبي على مقاسهم؟!!

إن خطاباً واضحاً قدمه الرسول الكريم يكشف عن رفض تام
لفكرة "احتكار الخلاص" وهو قوله: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي
كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأجملها إلا موضع لبنة، فكان
الناس إذا مروا بتلك الدار يقولون ما أحسن هذه الدار لولا موضع
هذه اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة، وأنا خاتم النبيين).⁽¹⁾

ثلاثة أمراض ذكرها الله في القرآن ابتليت بها الأمم الأولى
وسرى داؤها إلى هذه الأمة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى
عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ
يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: 113] وقلنا تماماً مثلما قالوا!!! ..

(1) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2286).

وفي موضع آخر: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 110] وقلنا تماماً مثلما قالوا!!..

وفي موضع ثالث: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: 18]

وقلنا: بل نحن أهل الله وأحباؤه يخلدون في النار وندخل الجنة.

إنها السنن التي تنبأ بها النبي الكريم بقوله: (لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلك أحدكم حجر ضب لسلكتموه).

ومن العجيب أن نصوص القرآن طافحة بمثل هذه الدلالات الأكيذة التي تنفي عقيدة "احتكار الخلاص" كما يفتح بها الإنجيل وهو توكيد لعقيدة ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ .

﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: 81]

﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾

[آل عمران: 76]



﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿الزلزلة: 7-8﴾

والأمر نفسه في الإنجيل في أعمال الرسل يقول بطرس الرسول: في كل أمة الذي يتقي ويصنع البر مقبول عند الله.

بل إن المسألة نفسها طرحت في منتهى الوضوح زمن الرسالة يوم قال بعض المسلمين ما قالته الأمم الأولى من قبل: لن يدخل الجنة إلا من كان منّا، وعلى الفور ينزل القرآن منبأً ببطلان هذا التصور بقوله: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿النساء: 123-125﴾

يخيل إلي أنه لا داعي لأدنى تعليق بعد إيراد مثل هذه الآية لأنها من حيث الظهور والبيان واستيفاء المقاصد قد بلغت الغاية التي لا مزيد عليها، ولكن يمضي الإرث التاريخي من راسب الماضي ليحول بين الناس وبين فهم كثير من مقاصد النص المقدس.

وأجد من الواجب هنا أن أشرح موقفي من مسألة احتكار الخلاص، وهي مسألة كثر الجدل حولها، ولقيت فيها رهقاً كثيراً فأقول:

إن الجنة التي وعد المتقون في صريح القرآن الكريم وما فيها من سدر مخضود وطلح منضود وجنات تجري من تحتها الأنهار هي للمؤمنين الذين صح إيمانهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وعلى رأسهم النبي محمد ﷺ وعملوا الصالحات، وفق ما أخبر القرآن الكريم بقوله: **“فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا”** .

ولكن ذلك لا يقتضي ضرورة أن عمل الآخرين زاهق باطل، بل إن الله يبطل عمل الأشرار المجرمين المفسدين في الأرض، وفق ما دلت عليه أدلة الشرع: **“ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا”** ويتقبل من الطيبين والأخيار من أي ملة أو دين كانوا:

“أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ” ❁ وفق
ظاهر نص الكتاب العزيز “إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ
حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا” ❁.

وهذه المعاني من إحياء روح العدل في تطبيق الشريعة وجدت
سبيلها للتحقق عبر سنة النبي الكريم ❑ وفهمه للقرآن الكريم.

لقد رسم النبي الكريم محمد ﷺ علاقة مختلفة تماماً من
خلال صلته المستمرة بالنجاشي ملك الحبشة، فقد أمر الصحابة
الكرام بالهجرة إلى الحبشة حفاظاً على دينهم من اضطهاد
مشركي قريش، وقال: " لو ذهبتُم إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا
يظلم عنده أحد أبداً".

وعندما استمع النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب لم يخلع
عنه دينه وإنما أثنى على النبي ثناء طيباً وقال: إن هذا والذي جاء
به عيسى بن مريم ليخرج من مشكاة واحدة.

وعاش المسلمون في كنفه يحبهم ويحبونه، ويودهم ويودونه،
وحين أدركه الموت نعاه النبي الكريم وقام بأصحابه يصلي عليه
صلاة الغائب.

وعندما اعترض بعض الصحابة على ذلك بقولهم: يصلي
 عى علع من علوج الروم لم يصل صلاتنا، ولم يستقبل قبلتنا، أنزل
 الله قرآناً يتلى فيه قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ
 بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ [آل عمران: 199]

وهي آية جلية واضحة تنسف فكرة "احتكار الخلاص"
 وتقرر أن باب القبول عند الله مفتوح لسائر الخيرين والطيبين
 الذين يحسنون إلى الحياة والناس..

ثمة روايات تحدثت عن نطق النجاشي بالشهادتين ولكنه بكل
 تأكيد لم يصل صلاتنا، لم يستقبل قبلتنا ولم يحج إلى البيت وقد وجد
 إليه سبيلاً، ولم يهاجر إلى المدينة مع قدرته على ذلك ولم يصم
 صيامنا، ولم يستبدل بطارقه ورجال دولته بصحابة ومهاجرين ولم يبدل
 كنائس بلاده بمساجد، بل إن ابن كثير أورد في تفسيره أن بعض
 الصحابة اعترضوا مرة أخرى على النبي ﷺ يوم صلى على النجاشي
 قائلين:

يا رسول الله.. إنه لم يكن يصلي تجاه الكعبة بل كان يصلي
صوب بيت المقدس فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا
تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 115]

وفي أصحاب النجاشي من البطارقة نزل قول الله تعالى:
﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ
آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٤﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: 113-114]

ويزداد الأمر وضوحاً وتوكيداً بحيث لا يحتاج لأي تعقيب
في الآية التالية مباشرة ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 115]

إن العودة إلى جوهر العقيدة الحق تكشف لك أن سائر
رسالات السماء جاءت لتؤكد هذه الحقيقة وهي التي أكدها
القرآن الكريم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى
وَالصَّابِئِينَ مِمَّنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:

[62

فهل حان الوقت لمراجعة الذات والإعتراف بجرأة و يقين
أننا نمارس في أحيان كثيرة عقيدة "احتكار الخلاص" وأنها في
العمق سوء ظن بالله الذي عرف نفسه في مطلع القرآن الكريم
بقوله:

① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ 📞 [الفتحة: 1]

إن فكرة "احتكار الخلاص" فكرة خطيرة، وهي سبب
رئيسي على لائحة مبررات الحروب الدينية في التاريخ، إذ ما دام
الله الرحيم لا يرى في هذا الآخر إلا (حطب جهنم) فما الذي
يدعو إلى الرحمة أو الرأفة بهذا الآخر؟

إن ما نقرره هنا في إطار الواقع يحظى باحترام القادة الدينيين
كافة في لقاءات الحوار والمجاملة في الإطار البروتوكولي، ولكن
هل تمكنا من وضع أيدينا على مكانم الجرح الغائر فيما يتلقاه
الطلبة من مناهج على مقاعد الدرس، وكذلك في الكنائس
والمساجد وهي مناهج تكرر الحديث عن الفريق (الناجي) الذي
هو من وجهة نظر كل فريق: نحن بالطبع، ولا تبالي بعدئذ
بالمصير الأسود الذي ينبغي أن يساق إليه الآخرون.

إن المسيحيين والمسلمين يشكلون اليوم ثلاثة أرباع سكان الأرض، وهذا وحده يقدم مبرراً كافياً لقيام جبهة محبة وسلام بين المؤمنين في الأرض، ويوفر جانباً كبيراً من أسباب نجاحها وفعاليتها، ولكن البداية التي لا بد منها في تقديري هي التأكيد على الجانب الإيجابي في طبيعة هذه الحوارات.

ولكن هل لدى أتباع الدينين من الحس المشترك ما يهيئ لقيام هكذا جبهة؟؟

وهل من الممكن أن يقود الحوار في اللاهوت إلى أي بارقة وفاق؟

فيما كنت أتابع أعمال ندوة الإخاء الديني التي أقيمت في دمشق في 24 و25/1/2000، والتي أعدت محاورها بعناية للاستفادة من كل ما هو إيجابي في الحوار، كان يطوف بخاطري مشهد الحوار الذي نظمه المركز الإسلامي في شيكاغو بين كل من الشيخ أحمد ديدات والقس جيمي سواجارت، وكان بالطبع لقاءً هائجاً انصرف فيه كل من المتحاورين إلى تحقيق خصمه وسحقه، ولم يبال كل طرف في توجيه الشتائم القذرة لمقدسات الطرف الآخر.

ومع ذلك كله راج هذا الشريط في المنطقة رواجاً كبيراً،
وطبعت منه نسخ كثيرة كما تم إصداره على هيئة كتب مطبوعة
وروج للرجلين على طريقة صناعة النجوم التي يحترفها جيداً أباطرة
المال والإعلام، ومضى الإعلام الغربي بعدئذ في الترويج لفضائح
أخلاقية وسلوكية في سعي فضائحي محموم آخر ما يتصور منه
وجه الله!

إنه في الواقع الحوار على الطريقة الأمريكية... الاتجاه
المعاكس...

وهكذا فإن منهج الحوار - الديداتي السواغرتي - يقود
إلى صدام ينسف بالتأكيد سائر خيارات المشترك بين الرسالتين
السماويتين، وإني آسف هنا لضرب هذا المثال الذي قد لا يتلاءم
مع ما أبتغيه هنا من التقديم لهذا الكتاب الوفاقي التصالحي،
ولكن لا بد من بعض الجراحة إذا أردت للدواء أن يبلغ غايته في
الشفاء، وليس بالإمكان أن ندرك أخطاءنا ما لم نتنبه لها في
الصورة التي تستغل فيها الخطايا والأخطاء.

وفي مقابل ذلك فإن السيد بيكر يرسم لنا ملامح الحوار هنا من زاوية أخرى، زاوية لا تتجه إلى المختلف بقدر ما تتوجه إلى المشترك، وتبحث عن نقاط اللقاء أكثر مما تبحث عن مكامن الفراق، وهو لون قد نكون نسيناه في غمرة ما نَنجُرُّ إليه عادة من اكتشاف مواطن الاختلاف والشقاق، حتى تصبح لغة الحوار المعتاد هي لغة البحث عن مزالق الآخر وأوجه الاختلاف معه، وهو ما يرغب بارونات الإعلام إظهاره دوماً على أنه النموذج الأكثر نجاحاً في الحوار (الحقيقي).

الكتاب يطرح صيغة أخرى للحوار، صيغة تؤسس على المشترك وتدعو إلى تعزيزه والبناء عليه، وقد رأيت أن نصوص القرآن الكريم مضت في التوكيد على المشترك، وإظهار رباط التكامل بين رسالات الأنبياء.

إننا نطرح الحوار عادة على أساس الكشف عن مكامن الفراق المتصورة في العلاقات الاجتماعية، وهنا يبدو النمط (الديداتي السواغرتي) أبرز أشكال الحوار (الديماغوجي) وهو الحوار الذي يرمي إلى إهانة الخصم وإذلاله، تلبية لمطالب الجمهور الهائج المتحفز أصلاً لسحق الآخر بغرض تحقيق استعلاء أيديولوجي مهما عاد ذلك برهق على المتحاورين والمستمعين جميعاً.

يقدم بيكر في دراسته قراءة سريعة لظاهرة المشترك في العقيدة المسيحية والعقيدة الإسلامية، وهنا أسمح لنفسي أن أستبق الأمور إذ سيبدو ذلك من وجهة نظر البعض تمييزاً للمسألة، وخطأً بين الحق والباطل كما تعودنا أن نقول في كل حوار مع الآخر، ولكن جولة سريعة في نصوص الكتاب العزيز ستجعلك تدرك أن ما نتحدث عنه من المشترك هو في الواقع منهج القرآن الكريم والسنة النبوية.

في القرآن الكريم ترد صيغة: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾

أربع عشرة مرة، وواضح أن تكرار هذا التعبير يتصل مباشرة بالمقصد القرآني الهادف إلى تعزيز المشترك، ومع أن هذه الصيغة واضحة في التعبير عن ذلك ولكن من المؤكد أن أثرها ظل يتخافت تاريخياً في حمى الإيرادات السياسية المتناقضة، حتى غلب على الخطاب التقليدي صيغة: ناسخاً لما بين يديه، أو ناسفاً لما بين يديه، أو مبطلاً لما بين يديه، أو ملغياً لما بين يديه، إلى آخر ما هنالك من صيغ أنانية لا تتفق ومقاصد القرآن فالقرآن الكريم جاء واضحاً بطرحه: (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسول من قبلك) كما أوضحته السنة النبوية في التعبير النبوي البليغ بقوله بعد أن ذكر أسلافه من الأنبياء: (فكنت أنا تلك اللبنة وأنا

خاتم النبيين!!) وهو موقف تواضع رائع، يجعلك تؤمن بتكامل سعي الأنبياء، وتدرك أن الإسلام يعترف بثقافة الآخر ويؤمن بتكامل المعرفة، إنه لم يقل أنا البناء كله وإنما قال أنا لبنة في هذا البناء!!

من البداية رأى النبي الكريم أن يتوجه بقبلته إلى قبلة أهل الكتاب نظراً للمشترك الذي يبدو بشكل ظاهر بين الديانتين، الأمر الذي أثار قومه في مكة من الوثنيين ولكنه استمر على ذلك أكثر من نصف عمر الرسالة وقد فهم أهل الكتاب ذلك خطأ، حين تحدثوا عن قصور في رسالة النبي الكريم وحاجة الرسالة إلى ظهور من مناسكهم، ثم تمت النعمة على النبي الكريم بتحول القبلة إلى الكعبة المشرفة في مكة.

يكشف المؤلف عن جانب من جوانب الدعاية المضادة للإسلام فيقول: لقد تلقينا على مقاعد الدرس في أمريكا أن الإسلام يكرّس لكرهية السيد المسيح من خلال إنكار صلب المسيح، وقد كان هذا المعنى من البداهة بحيث لا يفكر أحد بتجاوزه مع أن التأمل البسيط يكشف لك أن إنكار حادثة الصلب لم يكن أبداً بدافع الكراهية أو التخالف بقدر ما كان

بدافع زيادة الاحترام للسيد المسيح عليه السلام، والاعتقاد بعصمة الله تعالى له ومعونته بحيث لا يمسه سوء.

ثم يتجه الكاتب لإجراء مقارنات مقارنة بين الصلاة والصوم والزكاة في وعي كل من الديانتين ويظهر المشترك في كل من المنهجين التشريعيين، ودور العبادة المشترك في دفع المؤمنين للعمل الصالح، ثم يورد سياقاً متجاوزاً للنص المقدس من القرآن والإنجيل، مشيراً إلى المواضيع الكثيرة التي تشترك فيها الآيات بالمقاصد العظيمة للرسالتين.

ويعقد بيكر فصلاً خاصاً للحديث عن المرأة في الإسلام ويستعرض الشبه التي تثار في الغرب عن اضطهاد المرأة في الإسلام ويقدم الأدلة المتضاربة على أن الإسلام أطلق المرأة من مظالم الجاهلية ومنحها أعظم أنواع الحريات، ويستدل لذلك بالمشاركة الكبيرة للمرأة في عصر الرسالة، ثم يستعرض مسألة العنف في فصل خاص تحت عنوان الإسلام والجهاد فيتناول الهجوم الغربي على الإسلام على أساس أنه دين العنف والسيوف ويقدم الأدلة المتتابعة على أن الجهاد ما هو في الواقع إلا الدفاع المشروع الذي تقره شرائع الأرض كافة، ويبين أن خطاب العنف الذي يغلب على الشارع الإسلامي ما هو إلا نتيجة طبيعية للقهر

والغور الثقافي الذي يمارسه الغرب كل يوم على البلاد النامية والضعيفة.

في الفصل الأخير يتحدث بيكر عن مستقبل العلاقة بين الغرب والإسلام، ويكشف الستار عن التضليل الإعلامي الذي يمارس في الغرب على الجاليات الإسلامية حين يصورون على أنهم محض مهاجرين شاردين أو لاجئين سياسيين ليقدم الأدلة على أن الوجود الإسلامي في الغرب أصبح اليوم جزءاً من النسيج الاجتماعي الحقيقي للحياة العامة، ويحدثك عن المسلمين في أمريكا هذه المرة بلسان الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون الذي تحدث في يوم عيد الفطر - 1419 هجري - خلال حفل خاص أقامه للجالية الإسلامية في أمريكا قائلاً: "لقد أصبح من الواضح أن الإسلام هو أسرع الأديان نمواً في أمريكا، وقال: إن هذه الظاهرة مدعاة سرور للحكماء، إذ يمكنني أن أقرر هنا أن الأحياء التي يسكنها مسلمون في أمريكا تصبح مباشرة أنظف الأحياء من الكحول والمخدرات والعنف والجنس" وتحدث مطولاً عن حياة المسلمين المتحضرة في مجال النظافة والطهارة.

ثم يتحدث بيكر عن زيارته المتكررة لسوريا وعن تأثره البالغ بالشيخ أحمد كفتارو المفتي العام للجمهورية، ويعقد فصلاً

إضافياً للحديث عن الحوار الماراثوني الذي جرى بينه وبين الشيخ في دمشق لمدة خمس ساعات والذي كشف له عن كثير من محاسن الإسلام التي يتعمد الغرب تشويهها وإخفاءها.

إن منطق تعزيز المشترك الذي يطرحه المؤلف مؤهل أن يكون حاضراً في كل خطاب تحاوري ويمكنك التماس إرهافته في منهج الرسول الكريم الذي كان يطرح تعزيز المشترك على أساس من الوعي بخصوصيات الآخر: **“قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﷻ**، وكذلك قوله: **﴿لَا وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾** [الشورى: 15]

وهو منطق لا يتعارض مع منهج المسلمين في عصر المجد في قبول الآخر، والبحث عن المشترك، فقد ظلت الحواضر الإسلامية شاهدة عبر التاريخ على أروع صور الإخاء الديني بين أبناء الأنبياء.. وبقيت المنائر والمآذن شاهدة على ذلك في تطبيق عملي للدلالات القرآن الكريم الذي جعل من أركان العقيدة الإيمان بالأنبياء ثم أورد نصوصاً كثيرة في الثناء على المنصفين من

أهل الكتاب وخص منهم النصارى بقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ
 مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
 قِسِّيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: 82]

ومن العجيب أن بعض المفسرين يجعل الثناء هنا مقصوراً
 بأولئك الذين تركوا دينهم وتحولوا إلى الإسلام، مع أن الآية
 واضحة الدلالة في أن القوم على دينهم، وإنما يتحلون بالإنصاف
 والتسامح، وهو لم يقل الذين قالوا كنا نصارى بل قال إنا نصارى،
 وهو لم يقل ذلك بأن منهم صحابة وتابعين وأئمة وخطباء بل
 قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾
 وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ
 الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ
 الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: 83]

لدى تسلمه مهامه في دمشق قام السفير الكندي بزيارة إلى
 مفتي سورية الشيخ أحمد كفتارو وفي ذلك اللقاء البروتوكولي سأل
 السفير:

يا سماحة المفتي كم عدد المسيحيين في سورية؟

المفتي: إنهم سبعة عشر مليوناً.

السفير: عفواً سماحة الشيخ أنا أسأل عن المسيحيين فقط وليس عن سائر المواطنين.

المفتي: وأنا أجيئك بدقة، إنهم سبعة عشر مليوناً!!..

السفير: عفواً سماحة الشيخ لقد سألت بعض المتخصصين وأخبروني أن العدد أقل من ذلك بكثير إنهم نسبة محدودة من المواطنين لا تبلغ 15%.

المفتي: من هم هؤلاء المتخصصون؟ أنا هنا المفتي العام للبلاد!!

السفير: أرجو المعذرة.. إنني لا أفهم ماذا تقصد!!..

المفتي: سأشرح لك.. إنه لا يقبل إسلام مسلم حتى يشهد بنبوة السيد المسيح وطهارة أمه، وأنه بعث بالحق وأنه رفع إلى السماء وأنه يعود إلى الأرض حكماً عادلاً يتبعه الناس، وهي عقيدة كل مسلم ومسيحي هنا وهكذا فإن سائر الناس هنا مسيحيون ومسلمون لله!!..

وهكذا فإن هذا الفهم التقدمي للمشارك بين الإسلام بالمسيحية ليس طارئاً على الثقافة الإسلامية، بل هو طارئ على الثقافة التقليدية التي تتجه إلى الخلاف أكثر مما تتجه إلى الوفاق.

هذا الكتاب:

يأتي هذا الكتاب في هذه المرحلة من مطلع القرن الجديد تجاوباً مع جهود كثيرة يبذلها المخلصون لإطلاق رسالة الإخاء الديني خياراً عقائدياً ورسالياً وليس محض صيغة بروتوكولية مؤتمراتية.

وسوريا بالذات هي البلد المؤهلة - من وجهة نظري - لريادة هذه الرسالة من الإخاء، ذلك أن سوريا تحديداً هي الأرض التي كانت مركز انطلاق الرسالتين الأعظم الإسلاميه والمسيحية، فالسيد المسيح في الواقع هو مناضل فلسطيني عظيم، بدأ إصلاحه في القدس وبيت لحم والناصرة وامتد في سوريا، وقد أصابت دمشق جانباً عظيماً من بركته ونوره، يوم حملته أمه طفلاً إلى ربوة دمشق كما أورده ابن كثير نقلاً عن ابن عباس وابن المسيب بأن مريم العذراء أوت إلى ربوة دمشق لما خافت على وليدها الطاهر من غدر اليهود وهو ما عبر عنه القرآن الكريم ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: 50]

ودمشق أيضاً شهدت تحول بولس الرسول في الطريق
المستقيم إلى المسيحية بعد أن كان عدواً لها.

ودمشق هي منية النبي ﷺ غمرتها بركة دعائه: (اللهم بارك
لنا في شامنا ويمننا)، ومات وهو يقول: (أنفذوا بعث أسامة)،
وعندما وصلها الفتح الإسلامي تحولت بسرعة إلى عاصمة
الخلافة الأموية ومنها انطلق الهدى إلى العالم كله.

وهذا الجانب من الرسالة تألق بوضوح في "ندوة الإخاء
الديني" التي جمعت القادة الدينيين للدّيانتين في دمشق برعاية
كريمة من الدكتور بشار الأسد.

وهنا أود أن أشير باعتزاز أن "ندوة الإخاء الديني" التي كانت
حدثاً لافتاً في مطلع هذا القرن كانت في الواقع مبادرة مني شخصياً
قمت بإعدادها ووقّفتُ في تقديمها للدكتور بشار الأسد الذي اهتم
بها اهتماماً فائقاً وأمر بتنفيذها كاملة وفق المحاور التي اخترتها بالتمام
والكمال دون تعديل وذلك عبر المؤسسات المعنية في سوريا كوزارات
الأوقاف والثقافة والإعلام وكلية الشريعة ودار الإفتاء.

إنني أعتقد أن كتاب السيد بيكر هذا يأتي استكمالاً لرسالة الإخاء الديني المعاصرة التي شكلت ندوة دمشق إحدى معالمها البارزة والتي تتواصل اليوم في أشكال متعددة نأمل أن تستمر لتحقيق قوله تعالى الوارد مباشرة بعد الحديث عن عيسى ابن مريم: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿ [المؤمنون: 51 - 52]

وآمل أن تكون اللغة السهلة التي اعتمدها المترجمان السيد محمد أبو الشرف وحفيدته الأنسة ربا أجداد وافية بالغرض، لإيصال فكر المؤلف إلى اللغة العربية، بعد ترجمته من الأصل الإنكليزي.

د. محمد الحبش

عززي القارئ

يهدف هذا الكتاب إلى إعطاء تعريف موجز وسريع عن الدين العظيم الإسلام، ولا يهدف أن يكون بحثاً شاملاً موثقاً، ولا رسالة أو أطروحة أكاديمية، إنما نُسِّقَ هذا الكتاب على شكل سؤال وجواب.

وقد قام الكاتب - عبر خمسة وعشرين عاماً - بجمع أكثر الأسئلة تردداً عن الإسلام وهي أسئلة تلقاها خلال محاضراته التي ألقاها أمام جماهير متعددة في أرجاء العالم، وسيأتي السؤال أولاً ثم تليه الإجابة.

وقد قمنا في نهاية الكتاب بإلحاق قائمة للكتب المقترح قراءتها للمهتمين بدراسة أوسع عن الإسلام.

وقد أوردنا أيضاً قائمة موجزة لشرح المصطلحات كمرجع سريع للقارئ.

عسى أن يمنحك الله قلباً وعقلاً منفتحين وأنت تقرأ وتتعلم عن صدق الإسلام وتعاليمه الأساسية، وتدرك الأرضية المشتركة الموجودة بين الإسلام والمسيحية.

المؤلف: وليم بيكر

مدخل

الإسلام، كلمة لعلها من أهم الكلمات وأشهرها في قاموس القرن العشرين، وتزداد أهميتها على مدى القرن الحادي والعشرين المقبل.

والإسلام، كلمة لها مدلولها عند معظم سكان العالم، فهي تعني لأكثر من بليون ومائتي مليون إنسان: العدل والمحبة في حين أنها تمثل لملايين أخرى من البشر ما يعتبرونه الخطر الأعظم الذي يهدد أمنهم وحريتهم وأسلوبهم الحياتي المعاصر. والإسلام كلمة عربية تعني حرفياً: الاستسلام والخضوع، وتمثل الصدق الديني لحوالي ربع سكان العالم، وبسرعة ينتشر الإسلام ليصبح الدين الأول في أوروبا، آسيا، الاتحاد السوفيتي السابق والقارة الإفريقية.

ائتلاف أم اختلاف؟

ما زالت الديانة المسيحية والإسلامية أسرع الأديان انتشاراً في العالم، وما زال الرجال والنساء المسيحيون منهم والمسلمون يتساءلون: هل يجب على هاتين الديانتين - المسيحية والإسلام - أن تتعارضا؟ ألا توجد أرضية مشتركة فيما بينهما؟

وكثير من المسلمين قد تعلموا أن الديانة المسيحية تسعى للقضاء على الإسلام، وأن المسيحيين ليس لديهم علم ولا إدراك لعقيدة المسلمين، وأن المسيحية تشجب الإسلام، وتؤكد على أن الأصولية الإسلامية هي المسؤولة عن بعض - إن لم نقل عن كل - أعمال الإرهاب في العالم.

وتعلّم كثير من المسيحيين أن الإسلام يدين بعبادة إله كاذب، وأن الإسلام - كان وما زال - ينتشر بالقوة والإرهاب، وأن المسلمين كلهم عرب، والعرب والإسلام كلاهما يُعارضان سياسة الولايات المتحدة، ومبادئ الديمقراطية الأساسية.

لقد لُقّن المسيحيون وعلى مر العقود أن الإسلام هو دين التعصب، ودين اللاّ تسامح، يمنع حرية الاختيار واتباع أي دين آخر.

والأغلبية العظمى من المدنيين الغربيين علّموا الظلامات والافتراءات حول الإسلام وكرروها، وهي الشبه التي ابتدعها مدنيون أوروبيون منذ عصور قديمة وعرفوا الإسلام على أنه العدو التقليدي. وقد صُوّر الإسلام بصورة كاذبة نظمتها أعمال أدبية منها روايات (1) Don Juan، El Cid، Roland في وصف معركة Lepanto وأعطته طابعاً فاسداً مركباً لقصص رهيبية عن مكائد الحريم، وعن السماوات الفاسقة، والأرض الخطيرة، ومن زمن لآخر كانت الكتب التي تحكي عن المدينة الأوروبية تُعرّف الإسلام بأنه الدين الذي قضى على المراكز المسيحية الأولى في الشرق الأوسط وفي شمال إفريقيا، فحلّت مكانها الكنيسة الشرقية في القسطنطينية في شرق المتوسط والبلقان، وأن الإسلام احتل إسبانيا تسعمئة سنة.

(1) دون جون (1572-1631) شاعر انجليزي من رجال الكنيسة، يعتبر مؤسس المدرسة الميتافيزيقية وأعظم شعرائها وهي المدرسة الشعرية المعروفة بطابعها الديني المنطقي، لم يعرف الكثير عن نشأته إلا أنه تربى في جو متمزمت، وأنه كان كاثوليكياً ثم تحول إلى الكنيسة الإنجيلية، عمل سكرتيراً للسير توماس اجرتون، فاكسب شهرة بفضل أشعاره الشهوانية في الغالب، ومقالاته الهجائية، اشتهر بمواقفه المعادية للإسلام.

وبطريقة ما حُذِف أو نُسِي التعاون العلمي المثمر
والمناقشات اللاهوتية التي جرت في بغداد في القرنين التاسع
والعاشر بين العلماء المسلمين والمسيحيين الذين عملوا معاً في
ترجمة وشرح العلوم والفلسفة الإغريقية، ولم تُذكر حقيقة مهمة وهي
أن أول ترجمة للفلسفة العربية تَمَّت أثناء حكم الشماليين في
صقلية، والتي كان لها الأثر العميق في مؤلفات ألبير العظيم،
والقديس المسيحي الشهير توماس أكويني⁽¹⁾ Thomas Aquinas

(1) توماس الأكويني (1225-1274م) فيلسوف ولاهوتي إيطالي، من أشهر
وأهم قادة الفكر الكاثوليكي، يلقب باسم الدكتور الملائكي دلالة على صفاء ذهنه،
ولد لأسرة ذات نفوذ اجتماعي وسياسي وتعلم في دير مونت كسينو، ثم في نابولي،
وانتظم في رهبنة الدومينيكان (1244) وتلمذ لأبيير الكبير في باريس، وتبعه في
كولوني فأصبح من أشهر تلاميذه، عين أستاذاً في جامعة باريس (1252-1259)
ثم سافر إلى إيطاليا حيث علم عدة سنين وعاد إلى باريس حيث ناضل ضد أنصار
الرشيدية اللاتينية، وتوفي في طريقه إلى مجمع ليون (1274) مؤلفاته كثيرة تناول
فيها الفلسفة واللاهوت، وفسر معظم كتب أرسطو، وشرح معظم أجزاء الكتاب
المقدس وله مجموعتان هامتان: 1- الخلاصة اللاهوتية وهي عرض شامل للعقيدة
المسيحية وفقاً لمنهج علمي دقيق وهي موجهة إلى المؤمنين ليتبينوا حقيقة إيمانهم
من ناحية صدره عن الوحي غير مخالف للعقل. 2- الخلاصة ضد الأمم، ويعتبر
توماس الأكويني أحد المؤذنين المبكرين لنهوض أوروبا، وأعماله من الناحية العملية تعتبر أول
إشارة لأفول العصور الوسطى وقيام العصور الحديثة، وقد أشار في أعماله مراراً إلى تأثره
بالحضارة الإسلامية، وحاجة الغرب إلى الإنجازات الحضارية عند المسلمين.

لقد نسي التاريخ ولم يذكر آلاف المناسبات التي عاش فيها المسيحيون والمسلمون وعملوا معاً لصالح مجتمعهم البشري المشترك، ويبرهن على ذلك الزيارة التي قام بها فرانسيس الأسيزي لسلطان مصر المملوكي أثناء اشتداد الصراعات في الحروب الصليبية، والحوارات التي جرت في القرن السادس عشر بين العلماء المسلمين والمسيحيين والتي نُظِّمَت بمبادرة من الإمبراطور أكبر، الإمبراطور المغولي للهند والباكستان.

ولكوني مسيحياً عاش ودرس وتعامل لسنين عديدة مع مسلمين مؤمنين، فإني أجد من دواعي سروري ومسؤوليتي أن أُبين تاريخ وتعاليم الإسلام الأساسية، لأُثِّفَ المخلص الذي يريد وبصدق أن يفهم عقيدة المسلم وعمله، فلعله عندما يدرس هذه الأشياء، لعل ذلك الشخص ينضم إلى المسيحيين الآخرين من أجل بناء جسور السلام والحوار والتفاهم مع الأخوات والإخوة المسلمين.

وأحب أن أعبر عن شكري الخاص للدكتور روبرت شولر

(1) Robert H. Schuler، مؤسس:

Crystal Cathedral in Garden Grove in California

وتقديري لبرنامج التلفزيوني Hour of Power ساعة القوة،

ولتعهده بدعم وتأسيس منظمة **Camp** المسلمون والمسيحيون
من أجل السلام.

الدكتور شولر مثال نادر لعبد من عباد الله يعيش من أجل

الإيمان ويهتم بالنهوض بحاجات وقضايا العالم المعاصرة.

وكان الدكتور شولر بدافع من فهمه لواقع وحقائق العالم

اليوم وفي القرن الحادي والعشرين القادم أول من عبّر عن خوفه

من أننا مسيحيين ومسلمين مُتجهون حتماً إما إلى مزيد من

الصدام أو إلى مزيد من الوثام.

(1) روبرت شولر: لاهوتي أمريكي معاصر، ذو نفوذ كبير في المؤسسة الدينية

والسياسية في أمريكا، أسس الكنيسة الكريستالية في لوس انجلوس وهي تحفة معمارية

هائلة، سائر جدرانها وأسقفها من الكريستال، له اهتمامات واضحة بالحوار بين

الأديان مع الإسلام خاصة، كان من المبادرين لإعلان الاعتذار للمسلمين عن المآسي

التي جلبتها الحروب الصليبية.

وإني لأُصَلِّي كي تنضمَّ إلينا أيها القارئ الكريم، لمواصلة
السعي إلى التآلف بحيث تجتمع كلمة الرجال والنساء في سائر
الأمم والشعوب الذين يطيعون الله الحي، عسى أن نجتمع على
أرضية مشتركة وفي وحدة تواجه جميع شرور البشر، وأن تتكاتف
الأيدي في السعي نحو السلام والحرية والعدل والقيم الأخلاقية.

الفصل الأول أصول الإسلام

سنطّلع في هذا الفصل على معنى وأصل الإسلام،
وسنلقي الضوء باختصار على خلفية حياة النبي محمد وسنركز
بشكل خاص على مراحل حياته والظروف الجغرافية والتاريخية
التي كان لها الدور الفعال في بداية الإسلام.

ما معنى كلمة الإسلام؟ وما أصلها؟

تعني كلمة الإسلام حرفياً: الخضوع والاستسلام، وهي في
اللغة العربية مشتقة من المصدر: السلم.

وتعني في اللغة العربية الطهارة والطاعة، لكن معناها الأمثل
هو السلام، والتعريف الصحيح للإسلام هو السلام من خلال
الخضوع لإرادة الله.

وتستعمل الكلمة العربية (السلام) للتحية في جميع أنحاء
العالم الإسلامي بين المسلمين، والمسيحيين المؤمنين، السلام
عليكم: تعني السلام من الله عليكم أو لكم.

ومن ذلك نتعلم أن المعنى الحقيقي لعبارة إسلام، لا يعني حرباً، ولا إرهاباً، ولا عدواناً، أو عدم تسامح، ولكن يعني السلام فقط، وإن مفهوم الإسلام هو أن الإنسان يستطيع أن يتمتع بالسلام الحقيقي لجسده وعقله من خلال خضوعه وطاعته لله، وأن حياة الطاعة هذه تؤول إلى طمأنينة القلب وإقامة سلام حقيقي لعموم المجتمع.

إن فكرة السلام كما يُبَيَّنُّر بها الإسلام، تجاهلتها وتغاضت عنها وسائل الإعلام المعاصرة، وفي كل مناسبة يَصْمُّ كثير ممن يُدعون بالعلماء من اليهود والمسيحيين الإسلام بأنه دين الشيطان!!..

السلم والإسلام كلمتان مترادفتان من مصدر واحد، وإن ختام الصلوات اليومية عند كل مسلم هي كلمات السلام، والتحية بين المسلمين هي إلقاء السلام، والجنة في الإسلام هي دار السلام.

وكذلك يبين الإسلام أن الرجال ذوي الإيمان الحق والمبادئ الحقّة لا يعجزون عن جعل هذا العالم عالماً أفضل وأن يعيدوا إليه كرامة الإنسانية وقيموا العدل لتسود الأخوة وبينوا سلاماً دائماً.

هل تصح تسمية المسلمين بالمحمّديين؟

كلاًّ مطلقاً! فالإسلام هو اسمٌ للدين ولم يُسمَّ باسم مؤسسه
خلافاً للمسيحية أو البوذية، أو أي دينٍ آخر في العالم، وإذا أردنا
أن نُسمي الإسلام بالمحمدية لكان ذلك كما لو سمينا المسيحية
نسبةً إلى القديس بولص البولصية المقدسة.

فالمؤمنون في الإسلام يؤمنون بالله كمؤسس لدينهم، ومع
أن دور محمد أساسيٌّ في صياغة الإسلام، إلا أن هذا الدور يأتي
بعد الله والقرآن من حيث الأهميّة والمكانة، ومحمد ليس إلهاً ولا
تجسيداً لله، ولا يُعبد بأي شكل من الأشكال.

ماذا تعني كلمة مسلم؟

تعني كلمة مسلم: من يخضع ويستسلم لإرادة الله والشخص الذي يتبع الإسلام يسمى مسلماً، والمرأة تسمى مسلمة.

وفي التعريف: كل من يخضع ويطيع أوامر الله بشكل كلي يعتبر مسلماً.

لذا فالإسلام يعتبر إبراهيم وجميع الأنبياء عليهم السلام المذكورين في الكتاب المقدس مسلمين.

ومؤلف هذا الكتاب ألقى محاضرات في عدة مراكز ومساجد إسلامية وقد دُعي مرات عديدة بالمسلم.

وهكذا فإن المسيحيين الصادقين الذين يطيعون قوانين الله وأوامره، هم بلا شك مسلمون: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136]

وتطلق كلمة مسلم - كما تُفهم وتعني اليوم بأدق معانيها
- على كل من نطق بالشهادة، وهي: أن تشهد أن لا إله إلا الله،
وأن محمداً رسول الله.

وهذا البيان بصدقه وتأكيد مضمونه يسعى بالمسلم كي
يعيش حياة التقوى التي تميز كل من يطيع الله، والمسلم هو من
يتبع دين الإسلام وتعاليمه.

من هو محمد؟ أين ومتى عاش؟

يعني اسم محمد في العربية المحمود جداً، وقد وُلد في البلد العربي والمركز التجاري مكة، وتاريخ ولادته الصحيح مختلف فيه إلا أن الأغلب والمتفق عليه: نحو 570م، وهذا الشك أو قلة الإثبات ليس أمراً غير عادي في الشرق الأوسط، فمثلاً من الصعب تعيين تاريخ ولادة الملك عبد العزيز بن سعود - المعروف بابن سعود - وهو حاكم الجزيرة العربية وموحدتها، وقد حكم أكثر من خمسين عاماً وتوفي سنة 1953م، مع أن شخصيته وسلوكه وسيرته معروفة بأدق تفاصيلها.

ومحمد ابن لزوجين من قبيلة قريش ومن نسب بني هاشم، وُلد في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، توفي والده عبد الله قبل ولادته بشهرين، وأمه آمنة ماتت وعمره ست سنوات، وأبواه كلاهما ينحدر من أشرف وزعماء مكة، وكان جده عبد المطلب سيدها ويده سدانة الكعبة التي هي أول بيوت العبادة، بناها إبراهيم عليه السلام، وهي من أقدس المقدسات التي يحج إليها المسلمون، وإليها يتوجهون في صلاتهم.

وكان عبد المطلب سيد سادات قريش، وقد كَفَلَ محمداً بعد وفاة والده، وعندما توفي جده عبد المطلب كفله عمه أبو طالب.

عاش محمد يتيماً في مكة التي كانت تقع على الطريق التجاري الواصل بين الأردن وسوريا ولبنان في الشمال، واليمن في الجنوب، وكانت مكة مركزاً للهو والمتعة، وقوافل الجمال، وتداول اللغات الأجنبية، وأسواقاً دائمة للمقايضة والتبادل التجاري، وزيارة مقام الحجر الأسود في الكعبة، ومكان اجتماع العرّافين والشعراء.

سافر محمد الشاب برفقة عمه أبي طالب إلى شمال الجزيرة العربية وسوريا، وأغنت هذه الرحلات التجارية وزادت من مهاراته السياسية، وأكسبته الخبرة في أعماله.

بلغت مهارة محمد مسامع السيدة خديجة، وهي أرملة غنية من أشرف قريش برعت في مختلف الأعمال والنشاطات التجارية، فاستعملت محمداً على بعض تجارتها، ثم أصبح فيما بعد القائم على جميع أعمالها التجاري.

ومع أنها كانت في الأربعين من عمرها ومحمد يصغرها
بخمسة عشرة سنة - إذ كان في الخامسة والعشرين - فقد
تزوجا، ورزقا بستة أولاد: صبيين توفيا وهما صغيران، وأربع بنات،
البت الصغرى فاطمة عاشت فقط إلى ما بعد وفاة والدها.

وهنا تجدر الإشارة إلى حقيقة تُوجّه إلى منتقدي الإسلام
وهي أن السيدة خديجة بقيت الزوجة الوحيدة لمحمد طيلة
خمس وعشرين سنة؛ أي حتى وفاتها، رغم أن تعدد الزوجات كان
عادة مألوفة في تلك البلاد، وفي عام 620م حين بلغ الخمسين
أصابه حزن وأسى عميقان بوفاة زوجته الحبيبة خديجة وعمه أبي
طالب.

اقرأ..... ليلة الوحي:

اعتاد محمد لسنين عديدة أن يأوي إلى مكان هادئ،
يوجد فيه الوحدة ويُطيل فيه التأمل والتفكير، وكان ذلك المكان
هو غار حراء الواقع على جبلٍ قريب من مشارف مكة، وفي
إحدى الليالي، وكان قد بلغ الأربعين من عمره سمع صوتاً قطع
هدأة الليل قائلاً: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [سورة العلق: 1 - 2]

وهكذا بدأ نزول الوحي بالقرآن على محمد، وقد أنزل الله
عليه كلمات القرآن بواسطة جبريل خلال فترة ثلاث وعشرين سنة،
وقد توفي الرسول ﷺ في 8 حزيران بين يدي زوجته عائشة سنة
632م إثر إصابته بالحمى، ودفن في داره في مدينة يثرب التي
سُميت بعد هجرته إليها بالمدينة المنورة.

إن حياة النبي محمد ﷺ والزمن الذي عاش فيه مهمة
للغاية، ولذا فقد أفردتُ في قسم القراءة المقترحة بعض أهم
المصادر عن حياة الرسول ﷺ.

لقد كان حتماً رجلاً فريداً بالفضائل كالتواضع والرحمة والطاعة، والتعطش للعدل، ودعوة جميع الناس لعبادة الله الواحد الأحد خالق الأكوان.

لم يدع محمد ﷺ أبداً أي نوع من الألوهية، وكذلك لم يأمر أو يطلب يوماً احتراماً أو اعترافاً خاصاً لنفسه.

إن رسالة النبي محمد ﷺ كانت ولا زالت رسالة رحمة ومحبة، رسالة تسامح وتعايش سلمي كما سنرى في الفصل الثالث.

وسنختم هذه الدراسة المختصرة لحياة النبي محمد ﷺ ووفاته بكلمات أبي بكر وهو أول من آمن برسالته، وكان تاجراً معروفاً ومحترماً في مكة، وهو أول خليفة للمسلمين، وقد قام بإعلان وفاة النبي ﷺ على الجموع المحتشدة خارج بيت رسول الله ﷺ، ويتضح من كلماته إلى تلك الجموع المسلمة أن المؤمنين يعلمون منذ البداية أن محمداً ﷺ سيموت كغيره من الأنبياء الذين جاؤوا قبله، يقول أبو بكر: أيها الناس! من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت.

الفصل الثاني تاريخ الإسلام

كيف ولماذا أخذ الإسلام يضرب جذوره

بدأ الإسلام في الجزيرة العربية لأن محمداً كان عربياً يعيش في مدينة مكة، وكلمة عرب مشتقة من الكلمة السامية (Arav) وتعني بدوي.

ويقال إن الكلمة مأخوذة من اسم المدينة الصغيرة عَرَبَ الواقعة شمال شرق منطقة تهامة.

ويُروى أن هذه المدينة سُميت نسبة إلى مكان إقامة يعرب بن قحطان، والذي ورد ذكره في الكتاب المقدس يقطان، ويعرب هو الذي أطلق اسمه على شبه الجزيرة العربية وسكانها.

(ولعابر وُلِدَ ابنان: اسم الواحد فالج؛ لأن في أيامه قسمت الأرض. واسم أخيه يقطان ٥٥ ويقطان ولد أَلْموداد وشالف وحضرموت ويأرح ٥٦ وأوفير وحويلة ويوباب، جميع هؤلاء بنو يقطان) (سفر التكوين 25/10، 26، 29)

إن أقدم المدن في الجزيرة العربية تشمل الحميريين، والسبئيين و (الكهلانيين)⁽¹⁾ ومنذ الألف الثاني بعد الميلاد كانت هذه المدن تعتمد بشكل أساسي على الزراعة والتجارة، أما من الناحية السياسية فقد أسس العرب نوعاً من الحكم اللاهوتي الأرستقراطي.

(1) عبر المؤلف عن الفرع الثالث لعرب اليمن بقوله (Minaean) ولم يظهر لي مراده.

وحصلت هجرات لمجموعات كبيرة من الجزيرة العربية كالتي ذكرها التاريخ، والتي حصلت سنة 535 ق.م عقب انهدام سد مأرب العظيم، ومن الألف الثالث ق.م وما بعده، وكل خمسمائة سنة، كانت تحصل هجرات كبيرة من شمال الجزيرة العربية، أنشأت أقدم الحضارات في سورية وأرض ما بين النهرين: مثل العموريين والكلدانيين والكنعانيين والفينيقيين والآراميين، والعبرانيين والنبطيين والغساسنة، وأخيراً المسلمين العرب، وهذه الحضارات تشكل القاعدة الأساسية للقبائل الساميّة التسع التي انحدرت منها مختلف الأمم الساميّة: الكنعانيون، والعموريون، والعبرانيون، والتي صورت نصوصُ الكتب المقدسة الصراعات فيما بينها.

ويؤكد التاريخ أن الجزيرة العربية احتلت موقعاً جغرافياً متوسطاً بين مراكز الحضارات القديمة المدهشة في بلاد ما بين النهرين ووادي الهند وساحل الهند الغربي ومرتفعات الحبشة، وهكذا صار العرب وسطاء في التجارة، حيث كانت تمر بالجزيرة العربية أفضل الطرق التجارية.

وإني أقترح على القارئ المهتم بزيادة الاطلاع متابعة قراءة الواقع الثقافي والقبلي للشعب العربي، لأن بعض العادات والممارسات كانت بالطبيعة جزءاً من بداية الإسلام.

ما هي العقائد التي كانت سائدة في الجزيرة العربية؟

كان الوضع الديني للجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام يعتمد مزيجاً من بعض الآلهة والطوائف مقرونة بالروحانيات والإلهيات.

ومع ذلك فإن دين التوحيد يحتوي على بعض الدلائل أو الشواهد التي تقدّس الأحجار والجداول، كتقديس المسلمين للحجر الأسود في الكعبة، وتقديس بئر زمزم، وتقديم الدماء في الأضاحي، وكذلك بعض الشعائر الدينية المختلفة التي اعتنقتها وطبقتها الديانة المسيحية واليهودية والإسلامية، وكانت هذه الشعائر موجودة في فترة ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية.⁽¹⁾

(1) لا شك أن تكريم المسلمين للكعبة والحجر الأسود وبئر زمزم لا ينطوي على شيء من الأوهام الوثنية، فالمسلمون جميعاً يعلمون أنها محض أحجار لا تنفع ولا تضر، ولكنها رموز لدلالات كبيرة في الوحدة والجماعة، وهذا يختلف بالطبع عن عقيدة العرب في طلب النفع والضر من الأوثان آنفد، وهنا نورد كلمة عمر الخطاب عندما قبل الحجر الأسود: والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبّلك ما قبّلتك.

واختارت قبائل الجزيرة العربية من تلك الآلهة ما عكس
طموحاتها وسماتها المميّزة، فقد صنع هؤلاء الساميون آلهتهم
حسب مخيلتهم، وكان مزاج وطبع آلهتهم إنما هو انعكاس مباشر
لصانعيه وعابديه، وكان للجزيرة العربية مئات من الآلهة، وحتى إنه
كان في الكعبة في يوم ما ثلاثمائة وسبعة وستون إلهاً -صنماً-.

ورغم مرور وقت طويل على ظهور أنبياء العهد القديم ورسول
العهد الجديد، إلا أن المسيحية واليهودية كان لهما أثر في
المنطقة، ولكن في القرن السادس الميلادي كانت ظاهرة الوثنية
والعبادة الزائفة منتشرة، لدرجة أن الإله في الكتاب المقدس قد
طُوّر إلى إله الآلهة عند العرب.

وهكذا فكلمة الله التي تعني في اللغة العربية الرب - الإله -
تُدعى كذلك من قبل البابليين (إِل) (الرب)، وعند الكنعانيين
والإسرائيليين (إِيل).

وفيما بعد اعتبر الإسرائيليون الله (الآب) لأشهر ثلاثة آلهة
ذُكرت في القرآن الكريم وهي: اللات - وتعني الإلهة - والعزى -
وتعني القوة - ومناة - وتعني القدر.

وقد أنكر القرآن الكريم كل المعلومات التي تتعلق بالأساطير والرموز والشعائر التي أوجدها العرب في ذلك الوقت، وأشار القرآن إلى فترة ما قبل الإسلام على أنها فترة الجاهلية.

وكان اتباع المذهب الأرواحي سائداً بشكل خاص، وهو مذهب يؤمن بشكل جوهرى أن كل مظاهر الطبيعة لها قوى مقدسة وأن كل شيء حي ممتلئ بالحياة أو مسكون بقوى روحية، وأن أفضل مثال يمكن أن نتناوله هو تبجيل الأحجار التي يُنظر إليها من قبل الأرواحيين على أنها تُؤمّن الحماية من الحيوانات، وتمدهم بالظلال التي تقيهم شمس الصحراء، ويُستخدم بعضها لبناء بيوت وملاجئ لهم، ويمكن أن ينطبق ذلك على الحجر الأسود في الكعبة حيث يُعتقد أنه شهاب سقط على الأرض منذ قرون، ووضع النبي إبراهيم في زاوية من زوايا الكعبة كحجر أساس.

وبهذا يمكن أن ندرك كيف أن مثل هذا المناخ الوثني يمكن أن يكون أرضاً خصبة لولادة مثل هذه الخرافات، وإن

أسطورة الحجر الأسود كانت مبعث شجب الخليفة عمر بن الخطاب، حتى أنه أراد أن ينتزعه بكامله من جدار الكعبة.⁽¹⁾

الميثولوجيا لا تموت بسهولة، وإلى اليوم يحتفظ المسلمون بعادة تقييل الحجر الأسود ولمسه إن أمكن كجزء من شعائر الطواف حول الكعبة، مع أنه لا يتصل بهذا الحجر أي نوع من الألوهية أو القداسة مطلقاً.

(1) لم أعثر على مصدر يشير إلى رغبة عمر بن الخطاب في رفع الحجر الأسود من البيت، واشتهر عن عمر أنه قطع شجرة (الرضوان) والتي باع تحتها الصحابة النبي الكريم ﷺ في الحديدية، لما رأى تبرك الناس بها، وخشي على التوحيد ولعل الكاتب التبس عليه ذلك، أو لعله فهم ذلك من خلال قول عمر عند الحجر الأسود: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك.

ما هو الرابط التاريخي بين الإسلام واليهودية والمسيحية؟

وجدت الديانتان اليهودية والمسيحية في الجزيرة العربية قبل ولادة الرسول بعدة قرون، وكان اليهود والمسيحيون يعيشون على شكل مجتمعات منفصلة غرب وجنوب الجزيرة العربية بشكل أساسي.

وكان التجار اليهود والمسيحيون يسيطرون على التجارة في مدينة يثرب، وفي الوقت الذي ولد فيه محمد كان نصف سكان المدينة يهوداً، ويعود تاريخ وجود هذه القبائل اليهودية في المدينة إلى عام /1200/ ق.م عندما انحدرت هذه القبائل من راحيل أثناء التيه في سيناء.

وبعد فشلهم الثاني الذريع في تمردهم ضد الروم 132-135م فر معظم اليهود إلى المدينة ومكة، مصطحبين معهم معارف عظيمة في مجال الزراعة، مقرونة بمهارات تجارية واسعة، وبسرعة أصبحوا أكثر السكان قوةً وثراءً.

وتعامل الرسول محمد مع اليهود المواطنين منذ بدء رسالته
وسماهم أهل الكتاب، وعنى بأهل الكتاب أتباع الكتاب المقدس.

وكانت المسيحية أيضاً في المدينة، ولكن كان أثرها أقل على
الإسلام، وذلك يعود إلى حقيقة أن المسيحية - ومنذ بدايتها -
كانت تتمركز في المناطق المحيطة بالجزيرة العربية شمال اليمن وفي
سوريا وأطراف العراق، وهناك بعض الروايات التاريخية التي تحكي
عن مجتمع مسيحي صغير كان ينمو ويزدهر في مكة قبل ظهور
الإسلام، وكذلك خلال حياة الرسول، وكان هذا المجتمع يتألف من
أصحاب قوافل ورهبان وتجار وأطباء وأطباء أسنان وحدادين ونجارين
ومفكرين من معلمين وخطباء وكتّاب.

وتأسست الديانة المسيحية بشكل قوي وراسخ بعد رسالة
بولس الرسول إلى الشام وسوريا الكائنة مباشرة إلى الشمال من
الجزيرة العربية، وتُظهر أدلة تاريخية أن امتداد المسيحية المبكر
في المجتمعات في سورية كان ناجحاً، وامتد كذلك إلى منطقة
مكة، وقد أكد بعض الرسامين القدماء لمجموعات مسيحية -
هي صغيرة نسبية لكنها هامة - على وجود أدلة أثرية مرسومة عليها
صورة المسيح وأمه مريم العذراء على الجدران الداخلية للكعبة.

وكانت فئة من الرهبان المسيحيين المنشقين المعتقدين
بوحدة طبيعة المسيح مع مجموعة من رهبان متصوفين قد اتخذوا
مساكن لهم في سهوب شمال الجزيرة العربية التي تمر منها طرق
التجارة.

وتؤكد الرواية الشفهية المتناقلة أن محمداً بصفته قائد قافلة
كان صديقاً لأحد هؤلاء الرهبان والمدعو بـجِيرى، حتى أنه لبس
أردية رومانية أهداها إليه رهبان مسيحيون آخرون.⁽¹⁾

وقد أقامت في هذه المنطقة قبيلتان مسيحتان جذام
وعذرا، وكانت الأديرة الواقعة على طرق القوافل التجارية تستقبل
البدو الرحّل والعديد من القوافل التجارية المسافرة.

(1) لا يمكن القول إن محمداً كان صديقاً للراهب بحيرى، إذ لقيه مرة أو مرتين
وهو غلام مع عمه أبي طالب، فيما كان بحيرى راهباً مخضرمًا يسكن بصرى الشام،
ويشير بقرب مبعث نبي آخر الزمان، وقد تفرس في شخصية محمد أنه قد يكون ذلك
النبي الموعود.

والجدير بالذكر أن سجلات الأديرة القديمة تُظهر أن الزوار رغم تَنَوُّعِهِمْ لم يتلقوا الطعام والشراب فقط، وإنما كانوا يقيمون الصلاة ويُعطون الزكاة ويصومون، تلك هي ثلاثة أركان من أركان الإسلام الخمسة.

وهكذا مهدت اليهودية والنصرانية الطريق لرسالة الإسلام (التوحيد).

إن مَنْ استمعوا لمحمد لا بد وأنهم كانوا عالمين بدعوته لمعرفة وعبادة الإله رب كل البشر.

هل انتشر الإسلام عن طريق الخوف والقوة والحرب؟

إن هذا السؤال جدير أن يُفرد له مجلد كامل لأن الثقافة السائدة في مجتمعاتنا تقريباً وعند مقارنة الأديان تؤكد وبحزم أن عقيدة الجهاد والحرب المقدسة تُثبت أن الإسلام انتشر عن طريق التهديد بالموت.

ومؤلف هذا الكتاب يتذكر أن بروفيسور الكلية التي كان يدرس فيها، في يوم من الأيام وأثناء الدرس استشاط غضباً واحمر وجهه وصاح بأعلى صوته وهز بقبضة يده وهو يؤكد مراراً وتكراراً للتلاميذ أن التحول إلى الإسلام لم يكن أبداً بالإرادة الحرة أو الاختيار، إنما كان الرجل يُؤخذ من شعره ويسلَّط السيف على عنقه ويعطى الخيار: إما الإسلام أو السيف.

أما التلاميذ فقد أنهوا دراستهم، وأما الجامعة هذه فقد ظلت تحكم على الدين الإسلامي بالظلم والعداوة دون أن تعلم على الأقل أي شيء عن مبادئ وتعاليم الإسلام والحقائق التاريخية التي هي الأكثر واقعية.

وخلال الفصل بكامله لم تُشجّع - ولو مرة واحدة - على قراءة القرآن أو أي من الوثائق التاريخية الكثيرة أو سجلات القرون الماضية التي تُفصّل انتشار الإسلام.

والمحزن أن كثيراً من أنظمة التعليم في عالم الغرب لم تتغير وما زال التحامل والتحيّز بازدياد مستمر، ويتحكم التحيز والمغالاة إلى أقصى حد، خصوصاً على ضوء تطورات القرن العشرين التي شهدت إعادة استجلاء وإحياء الإسلام الحي والديناميكي.

وهذا الإسلام المعاصر يتحدى الوضع الراهن الاقتصادي والسياسي للسنين المائة الماضية، ويُنظر إليه من قبل الغرب وسكانه على أنه أمر خطير يُهدد استمرار سيطرتهم على العالم.

ومن خلال أقوال النبي محمد نجد أنه لم يكن ينوي أن يتدع ديناً جديداً، وإنما كان هدفه دعوة العرب للإقرار بالتوحيد وعبادة الله الواحد، مثلما كان يعبد جيرانهم المسيحيون واليهود.

ولم يكن النبي ينظر إلى مهمته ورسالته بأنها نسخٌ لما جاء به مَنْ سبقه من الأنبياء، منذ إبراهيم وحتى المسيح - عليهما السلام - بل الأحرى أن رسالته جاءت لتُتمّم ولتحمي هذين الدينين العظيمين.

استقبل اليهود النبي محمد في المدينة بالترحاب بادئ ذي بدء، كما سنرى في الفصل القادم، وقد تضمنت رسالته رسالة إبراهيم وموسى والتوراة، وكان يعتبر اليهود إخوة وأخوات له، وليُظهر تضامنه معهم كان المسلمون الأوائل يتجهون في صلاتهم نحو بيت المقدس.

وفيما بعد عندما لم يقبل اليهود الإسلام ويعتنقوا الدين الجديد دبت الريبة والشكوك، وعندما عقدوا الأحلاف العسكرية مع أعداء النبي طردهم من المدينة، وطلب من أتباعه الامتناع عن التوجه نحو القدس - أو بيت المقدس - وأن يتوجهوا نحو مكة في صلاتهم، اعتبر النبي نفسه محرراً وحامياً للمسيحيين واليهود، وكان يعتقد أن رسالته لا بد أن تحل الخلافات بين المسيحيين واليهود في الجزيرة العربية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة

البقرة: 113]

كانت بداية الإسلام في حياة الرسول محاطة بالكفر والعصيان والاتهامات الباطلة وقيام الصراعات القبلية مع من يريدون الاحتفاظ بأشكال العبادة القديمة لآلهة الوثنية، ولنتذكر أنه حتى في الكعبة كان يوجد ثلاثمائة وستون صنماً.

وبعد وفاة النبي انتشر الإسلام بشكل لا مثيل له في تاريخ الأديان، وحيث أن محمداً قد نجح خلال حياته في جعل وطنه الأم بلداً إسلامياً، فخلال العشرين سنة التي تلت وفاته، انتشر الإسلام بسرعة من الجزيرة العربية شمالاً إلى الشام والقدس، وشرقاً إلى فارس، وغرباً إلى مصر وأخيراً إلى القارة الإفريقية.

وفي عام 715م وبعد مرور مائة عام فقط على العصر الجديد للإسلام، كان الإسلام قد توسع إلى ما حول البحر الأبيض المتوسط وإسبانيا في أوروبا.

وفي عام 800م عمم الإسلام الأرجاء من سويسرا إلى شرق الهند، ومساحة هذه البلاد أكبر من أعظم إمبراطورية رومانية في قمتها.

ومرة أخرى ظهر الإسلام بقوة متجددة في القرن السادس عشر بفضل الإمبراطورية العثمانية.

والحقيقة أن عدة معارك جرت خلال قرون ما بين المسلمين والمسيحيين سببت حالة الريبة والشك بينهما، وإني أقترح على القارئ أن يتابع تلك الحروب والصراعات بقراءة دقيقة للتاريخ، علماً أن بعض هذه المصادر أُدرجت في قائمة المصادر المقترحة قراءتها الواردة في آخر هذا الكتاب، ويكفي القول أن أخطاء عديدة وأعمالاً بربرية ارتُكبت تحت اسم الله والكنيسة، وذلك عندما أخفق رجال الدين - المسلمون والمسيحيون - في تطبيق روح وجوهر أديانهم.

لقد سجل التاريخ أن كثيراً من البلاد التي فتحها الإسلام رحبت بهذا التغيير بعد ما حكمتها الإمبراطورية البيزنطية وملوك فارس الطغاة لقرون عدة، وقد دُعيت شعوب البلاد التي تم فتحها والذين ظلوا على دينهم بـ (الذميين)، وعاملهم الإسلام بكل تسامح، وعومل اليهود والمسيحيون منهم معاملة خاصة، وسماهم القرآن أهل الكتاب.

وقد سُمح لكل الذميين أن يحتفظوا بدينهم وحقوقهم المدنية، ومقابل هذه الامتيازات فرضت عليهم ضريبة تشبه ضريبة الدولة في هذه الأيام.

ولعل أفضل صورة للتسامح والتعايش السلمي التي صورها محمد، كانت ميثاق المدينة الذي تم بإرشاد وإلهام منه، وهي المعاهدة بين اليهود والمسلمين وبقية سكان المدينة، فيه ضُمنت الحرية الدينية، وأُقرت حقوق وواجبات أهل كل الأديان، فالإسلام الحق كما اليهودية والمسيحية الحقّة تولي السلام والمحبة والعدل أولوية خاصة ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 256] (1)

(1) أورد المؤلف هذه الآية هنا، ولا بد من التنويه أنها آية قرآنية وليست جزءاً من ميثاق المدينة المنورة الذي أشار إليه.

الفصل الثالث
القرآن
وأركان العقيدة الإسلامية

سنطّلع في هذا الفصل على خلفية القرآن؛ أصله، أسلوبه ونزوله، ثم ندرس أركان العقيدة الإسلامية الخمسة الأساسية، التي يمارسها أكثر من مليار ومائتي مليون مسلم مؤمن حول العالم.

ما هو القرآن؟ وكيف ومتى تم ظهوره؟

إن كلمة القرآن تعني التلاوة - القراءة - ويُعرف بالكتاب؛ أي كتاب الله، والقرآن هو الوحي الذي نزل به جبريل على محمد ﷺ في مكة والمدينة، على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، في الفترة ما بين 610 - 632م وكان الصحابة يدونون ما يُتلى عليهم أولاً بأول.

ويُطلق في اللغة العربية على تبليغ القرآن من جبريل إلى محمد ﷺ (التنزيل)، ويعني حرفياً نزول الشيء، وطالما أن القرآن وُجّه إلى سكان الجزيرة العربية وكان محمد ﷺ عربياً - ومع أن القرآن ترجم إلى لغات عدة - فعلى كل مسلم أن يتعلم العربية ويفهمها، لكي يحظى بفهم صحيح للقرآن.

ألم يكتب محمد القرآن؟

كان محمد □ أمياً، لذلك لم يكتب القرآن ولم يدوّنه، وكان يتلو الآيات التي يتلقاها من جبريل على أصحابه الذين كانوا يحفظون ما يُتلى عليهم، وفي نهاية حياة النبي محمد □ كان أكثر من ثلاثين ألفاً من الأصحاب قد حفظوا كامل الوحي الذي أنزل، والذين حفظوا القرآن سُمُّوا حُفَظاً.

وعقب وفاة الرسول □ قام الخليفة أبو بكر - الذي خلف النبي محمداً □ بقيادة المسلمين - بجمع جميع الآيات التي دونها الصحابة وحفظها الحُفَظ، وجعلها في كتاب واحد، حرصاً منه على سلامة نص التنزيل، والإسهام في نشر الرسالة.

وحقيقة كون اللغة العربية هي اللغة الأصلية التي نزل بها القرآن، حقيقةٌ كان لها الفضل في حفظ القرآن من أن يؤول إلى ما آلت إليه الكتب السماوية الأخرى من تغيير للمعاني الأصلية وتعليقات الكتّاب والإضافات إلى النص الأصلي.... الخ.

ونظراً لنزول الوحي باللغة العربية فقد حافظت اللغة العربية على كيانها من أن تتغير منذ أن دُون النص القرآني وإلى هذا

اليوم، ورغم مرور أربعة عشر قرناً ونيف ظلت لغة القرآن العربية لغةً فصحي، لها قواعدها وصرفها، وينطق بها كل العرب المعاصرين.

وبعد عشرين عاماً من وفاة الرسول ﷺ وبإشراف الخليفة عثمان بن عفان /644 - 656م نُسخ عن القرآن نسخٌ عديدة، أُرسلت إلى عدد من الأمصار مثل العراق وسوريا وبلاد فارس، وبالشكل الذي وصل إلينا والذي أجمع عليه المسلمون، ولم يتغير حتى يومنا هذا، وأثناء هذه الفترة تم - ولأول مرة - ترقيم وتسمية سور القرآن وترتيبه لأجزاء.

ويتألف القرآن الكريم من عدة سُور، وتتألف السورة الواحدة من عدة آيات، وحجمه قريب من حجم العهد الجديد، والقارئ يتقرب إلى الله ويسمو كلما قرأ القرآن وتفهمه.

ويتألف القرآن من (114) سورة، مؤلفة من (6236)⁽¹⁾ آية، وتعداد كلماتها (77934) كلمة، وأحرفها (323,671) حرفاً، وجميع سور القرآن تبدأ بيسم الله الرحمن الرحيم، ما عدا سورة التوبة: ويسم الله الرحمن الرحيم هي جوهر الإيمان.

ويتراوح طول السورة بين (286) آية كما في سورة البقرة: وثلاث آيات كما في سورة الكوثر، ويختلف طول الآية، فمنها ما يتألف من كلمتين، في حين أن بعضها يصل إلى نصف صفحة قرآنية.

ولكل سورة اسم أو عنوان يشير إلى موضوع بارز في السورة، وتسمية أو عنونة السُّور يرجع للقرن الثاني بعد الهجرة؛ والسبب في تجزئته إلى ثلاثين جزءاً وكل جزء إلى حزين هو تسهيل حفظ القرآن.

(1) هذا هو العدد الصحيح، وقد ذكر المؤلف أنه (6616)، ولا أدري المصدر الذي استند إليه.

وقد نزلت أطول سور القرآن في الفترة التي كان فيها محمد ﷺ قائداً للدولة في مجتمع المدينة، في حين أن قصار السور والتي نزلت خلال إقامته في مكة كانت تُعبر اهتماماً خاصاً بالتعاليم الأخلاقية، وفي أعلى كل سورة أُشير إلى مكان نزولها، فإن نزلت في مكة يكتب مكّيّة، وإن نزلت في المدينة يكتب مدنيّة، يُعرف مكان نزولها، والقرآن هو كلمة الله المعصومة للمسلم المؤمن.

ويعتبر المسلمون أن القرآن أم الكتب السماوية، والذي سيبقى إلى الأبد بحفظ الله ورعايته، ويحتل القرآن عند المسلمين المكانة نفسها التي يحتلها المسيح عند المسيحيين، لذا فعندما تقرأ القرآن فكأن الله يقرؤه عليك، لذلك فإن أي إهانة أو تحقير أو تشويه لسمعة القرآن تعدل عند المسلمين كما لو أنها موجهة لحضرة الله، لذلك كانت تخрصات سلمان رشدي الفاسدة في كتابه (آيات شيطانية) سبب غضب العالم الإسلامي بأسره.

هل للمسلمين كتب أخرى إلى جانب القرآن؟

محمد النبي ﷺ بشر كسائر البشر كما بيّنا في الفصل الأول، وبما أنه عاش حياة ترضي الله وخدم أتباعه المسلمين خدمات جلّلى، لذا صارت أقواله وأفعاله وأخلاقه وعاداته وما حكى عن الإيمان والحياة الصالحة - وعلى الأخص كل أحكامه في الخصومات الشرعية - مصدراً ومرجعاً هاماً للرجل العادي والفقيه، ولمن يهتم بالقانون ويرى، وللفيلسوف ورجل الدين.

وكنتيجة لما تقدم ألفت كتب منفصلة في الحديث مع أنها ليست كالقرآن، إلا أنها تأتي في المرتبة الثانية عند المسلمين كمرجع بعد القرآن، كما أنها ليست جزءاً من الوحي الإلهي، ولا يتضمنها القرآن ولا تعادله، فالحديث يعني أقوال الرسول ﷺ، والسنة تعني كل قول أو فعل أو إقرار أو نهى أخذها عنه أصحابه الذين رافقوه خلال فترة الثلاث والعشرين سنة التي نزل خلالها القرآن.

أحياناً يطبق الحديث والسنة على السواء عند الرجوع إلى عمل أو قول الرسول ﷺ، وهذا صحيح تماماً فيما يُطبق اليوم عند أي بحث في الشريعة التي هي القانون الأساسي أو دستور الإسلام.

لقد نُسب إلى الرسول ﷺ مئات الألوف من الأحاديث بعد وفاته، ولم يُنزل أيّ جهدٍ جدّيٍّ لإثبات صحتها إلا بعد مرور قرنين تقريباً، ومن بين الكثيرين الذين قاموا بهذا العمل رجل مسلم يُدعى البخاري الذي قضى حوالي ستة عشر عاماً يجوب البلاد الإسلامية يُمحصّص في أكثر من ستمائة ألف حديث منسوبة إلى الرسول ﷺ، ويُعتبر اليوم كتابه أهم المؤلفات لدى المسلمين، ويضم حوالي أربعة آلاف حديث صحيح.

ويمكن شرح كيف ينظر المسلمون إلى الحديث ويطبّقونه بالمثل التالي؛ فالقرآن يأمرهم بالصلاة ويأتي الحديث مبيناً لهم كيف يصلون، وكذلك فالقرآن كتب عليهم الصيام، ويأتي الحديث شارحاً بالتفصيل عن الصيام في شهر رمضان، ورمضان شهر مقدس، يصوم فيه المسلمون كل يوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهكذا فالقرآن هو الحق من كلام الله، والحديث هو حكمة وتأسٍ بالنبي محمد ﷺ.

ماذا يُعَلِّمُ الإسلام عن الله؟

وهل أنه هو نفسه الذي ذكر في الكتاب المقدس؟

الله جل جلاله هو لفظ الجلالة للإله؛ ويعني في السريانية والعربية الرب، وكان جل جلاله يُدعى عند البابليين القدماء بـ(إل)، وأصبح بعدها عند العبرانيين (إيل) أو (ايلوهميم)، ودخلت (إل) إلى العربية كأداة للتعريف (أَل)، ومع (آه) أصبح لفظ الجلالة الله، واستعملت في اللغة الإنكليزية بحسب لفظها في العربية: Allah وتعني حرفياً (الإله الواحد المعبود).

ومن وقت لآخر تُطلق أكاذيب وتشوهات مقصودة مؤداها أن الله - سبحانه وتعالى - هو إله للمسلمين فقط، أو أنه مثل الإله المزيف الذي كان يُعبد في عصر البابليين القدماء، وهذه التشوُّهات والأكاذيب لا تستند إلى إثباتات تاريخية، حتى أن المراجع والمؤلفات المعتمدة في هذا العصر تميل إلى تكرار دعايتها المعادية للإسلام كما يشهد بذلك المقطع الآتي الوارد في معجم:

New Websters Collegiate Dictionary لعام 1973:

الله الكائن الأعلى للمسلمين:

Allah The supreme Being of Muslims

ولا بد أن أسترجع مع القارئ الكريم الفصل السابق حيث أدركنا وبوضوح أن دعوة الإسلام للجزيرة العربية الوثنية وما حولها والتي كانت تعبد آلهة متعددة، كانت دعوة لجميع البشر لينسوا آلهتهم المتعددة وأن يتحولوا إلى عبادة الإله الواحد - إله البشر والأمم -؛ لا إله آلهة أخرى، الله وهو الرب الذي يعبده اليهود والمسيحيون واسمه عندهم يهوه: Jehova، وإيلوهم: Elohim، والإله الذي يعبده المسلمون والمذكور في القرآن هو نفس الإله العليم الموجود والخالق المذكور في الكتاب المقدس، ويشهد المسلمون: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

هذه هي شهادة التوحيد وتعني وحدانية الله، إن أساس الإسلام هو العقيدة الصلبة بوحدانية الله، الواحد الأحد والتي تُدعى بـ(التوحيد) في اللغة العربية، والله - سبحانه وتعالى - لا

تدركه الأبصار ولا يتجزأ، وليس له شريك أو مثيل، ومع أن الله سبحانه واحد فإن له أسماء عديدة.

وقد ورد لفظ الأسماء الحسنی في القرآن الكريم في سورة الأعراف [7: 180] وبلغ عدد هذه الأسماء تسعاً وتسعين اسماً، ومن هذه الأسماء: الخالق، الرحيم، الحفيظ، القدوس، الحكيم، العدل، البديع، الودود، الرؤوف، والعظيم، وقد وردت هذه الأسماء متفرقة في عدة سورٍ من القرآن الكريم، مثل سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾ [الحشر: 22 - 24]

وسورة البقرة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿255﴾ [البقرة: 255]

وكذلك في سورٍ أخرى من القرآن الكريم، بالإضافة
للأسماء التي وردت في الحديث.

ومن بين التُّهم التي تُوجه للإسلام تهمة شائعة وهي الحالة
التي تتكرر كثيراً بين المسلمين، إذ أن المسلمين يحملون بأيديهم
سُبْحاً، ويفركونها بأصابعهم بسرعة ووتيرة، وقد شبهها الكثير
بسبح صلاة الكثلثة الرومانية، وجميعهم مخطئون في ذلك،
فالسبحة هي خيط نُظِمَ بواسطته ثلاث وثلاثون حبة وبرأسها
شُرَابِيَّة، يمرر المسلم حباتها بين أصابعه الواحدة تلو الأخرى،
ويذكر مع كل حبة اسماً من أسماء الله الحسنى، وعند تكرار
هذه العملية ثلاث مراتٍ يكون قد تمكن من ذكر أسماء الله
الحسنى التسعة والتسعين كاملةً.

ولقد رأيت كثيراً من المسلمين في جميع أنحاء العالم في
جَدِّهِمْ وَلَعِبِهِمْ، ليلاً ونهاراً، دوماً يداعبون سُبْحَهُمْ بأيديهم، راغبين
وبصدقٍ حضور اسم الله في قلوبهم وأرواحهم وضمائرهم.

إن وحدانية الله وتوحيده ينعكسان في وحدة الخلق ونظام
العالم، وهذا يتضمن وحدة العائلة البشرية، ويعتبر الإسلام أن
جميع أفراد البشر هم أفراد عائلةٍ واحدة أمام الله، لذا فجميع
البشرية هم عباد الله، وهو الذي خلقهم، وهو الرزاق، وهو
الحاكم، وهو رب لجميع البشر.

نحن كلنا عائلةٌ واحدةٌ من حيث خلقنا وأبوانا ومصيرنا
النهائي، إن دعوة الإسلام هي دعوةٌ شموليةٌ وهي نداءٌ عالمي، إنَّ
فَهْمَ وحدانية الله تُساعدنا على فهم كيف أن الإسلام قد تخطى
جميع الخلافات، سواء كانت عَصَبِيَّةً أم وثنِيَّةً أم قوميةً.

وليس في الإسلام تمييز أو تفريق بين الكنيسة والدولة،
وبين الاقتصاد والدين، وبين الدين والسياسة، وأن تكون مسلماً
حقاً تطبق الإسلام، فهذا يعني أن تحيا حياتك كلها بعبوديةٍ
مطلقةٍ لله.

إن وحي الله يجب أن يفهم ويطبَّق في جميع نواحي الحياة، وأن لا يكون بأي حال مقيداً أو مقتصراً على الشعائر الدينية فقط، إذ أن الله سبحانه يحذر الإنسان، وسوف يحاسبه على كل عمل، سواء أبداه أم أخفاه.

ما هي عقائد الإسلام وأركانه الخمسة؟

إن مثَل الإسلام كمثل منزل بُني على صخر صلب، ودُعِمَ بخمسة أعمدة هي أركان الإسلام الخمس: الشهادة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

والأركان الخمسة هذه، هي العلامات التي تُميز الإسلام عن أي دين آخر، وعلى كل مسلم في جميع أنحاء العالم أن يمارس ويطبّق هذه الأركان الخمسة، ولا يكون المسلم مسلماً إن اقتصر على الاسم بدون ممارسة للدين والتدين، كما هو الحال في اليهودية والمسيحية.

أولاً: الشهادة..

كلمة عربية تعني المعاينة اليقينية والإقرار بالمعلوم، وتظهر الأركان الخمسة كوحدة مترابطة متلازمة، ولكن الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله) هي المحور الجوهرى الذي تدور حوله بقية الأركان.

وهذه الشهادة تُعتبر أهم إعلان يقوم به المسلم، وهي دليل يُبرهن على أن الشخص مسلمٌ وكذلك تجعل قائلها مسلماً.

وهذه الجملة هي أول الكلمات القليلة التي تُهمس في أذن المولود، وآخر ما يجب أن ينطق به المسلم قبيل وفاته، ولا تُوجد أيُّ عبارة أو جملة تتردد أكثر من هذه الجملة ويردها المسلمون في اليوم حوالي عشرين مرة.

وللإيمان في الإسلام خمسة عناصر أساسية تندرج تحت الشهادة وهي:

* الإيمان بالله الواحد الأحد الجدير بالعبادة دون سواه.

* الإيمان بالملائكة التي تُنفذ إرادة الله - سبحانه وتعالى

.-

* الإيمان بالكتب المقدسة والتي منها التوراة والإنجيل
وأنها مُنَزَّلَةٌ من الله تعالى.

* الإيمان بالأنبياء، وبأنهم القدوة التي يجب اتباعها، وأنهم
يتكلمون باسم الله.

* الإيمان بالبعث وبيوم الحساب.

ثانياً: الصلاة..

كلمة عربية مشتقة من الدعاء، وهي من أكثر صور الإسلام
المعروفة لدى الغرب، حيث يجتمع الرجال في المسجد، ويركعون
ويسجدون معاً، يجب على المسلمين أن يصلوا خمس مرات في
اليوم، ويمكن أداء الصلاة في أي مكان، وقد شاهدتُ مسلمين
يصلون في الحافلات والهضاب القاحلة، وفي البرية، وعلى أرض
الطائرات أثناء تحليقها، وبين انفجار القنابل، وفي السجون،
ويجب أن تُقام الصلوات في أوقات معينة كل يوم، ويسبق كل
صلاة الدعوة إليها وتسمى هذه الدعوة الأذان، ويُقوم به رجل
يُدعى المؤذّن يُدَكِّرُ المؤمنين بأن وقت الصلاة قد دخل، ولقد

سمعت الأذان في كثير من أرجاء العالم، وصيغة الأذان واحدة
وعامة:

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا
إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول
الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على
الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، الله أكبر الله
أكبر، لا إله إلا الله.

واليوم الوحيد الذي يُفرض فيه على المسلم أن يُصليّ مع
الجماعة هو ظهر يوم الجمعة، وهو اليوم الذي يعتبره المسلمون
يوم عبادة، وليس سبتاً ولا يوم استراحة الإله، كما يعتقد اليهود
وبعض الطوائف المسيحية، وقد بيّنت ذلك الآية: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ
اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فَإِذَا
قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ [سورة الجمعة: 9 - 10]

إن هدف الإسلام من الصلاة هو زيادة الصلة بالله،
وتطهير القلب، والتحكم بالرغبات، والدعوة إلى السمو الأخلاقي،

وإذا لم يجد المسلم مسجداً ليصلي فيه فيمكنه أن يصلي على سجادة صلاة، والتي تُعتبر موضعاً طاهراً كالمسجد، وكل سجادة صلاة لها في مقدمتها مؤشر يجب أن يوجه نحو القبلة في مكة المكرمة، وإذا لم يجد المسلم سجادة صلاة فيمكنه أن يصلي في أي مكان طاهر، وأشار الرسول ﷺ إلى ذلك في قوله: (وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً).

ولا بد قبل الصلاة من الاغتسال أو الوضوء، ويوجد في فناء كل مسجد من مساجد العالم بركة مياه جارية لهذا الغرض، وحيث أنه لا يوجد في بعض مساجد الغرب مثل هذه البركة فقد جُهزت بغرف استراحة تؤدي هذه الخدمة بشكل كامل.

إن هدف الوضوء هو التذكير بأهم غايات الصلاة بين يدي الله، إذ على المسلم أن يدخل الصلاة وهو طاهر مما يلحق به من أدران الحياة اليومية قدر ما يستطيع، وغسل البدن يؤدي إلى نقاء النفس، وغسل الأذنين يرمز إلى الرغبة في التخلص من الكلمات والأفكار التي تحيط بالمصلي خلال حياته اليومية.

والصلوات الخمسة اليومية هي كما يلي:

* صلاة الفجر: وهي صلاة الصبح الباكر قبل شروق الشمس.

* صلاة الظهر: وهي بين منتصف النهار وغروب الشمس.

* صلاة العصر: وهي بين الساعة الثالثة والخامسة بعد الظهر.

* صلاة المغرب: بعد غروب الشمس وقبل العتمة.

* صلاة العشاء: وهي صلاة المساء في أي وقت من العتمة.

ثالثاً: الصوم..

وهو ثالث ركن من أركان الإسلام، وركنا الصلاة والصيام في الإسلام هما عبادتان مطبقتان في سائر أديان العالم على الأغلب، والصيام في الإسلام - خلافاً لتعاليم المسيحية - هو عبادة خاصة في شهر رمضان، ورمضان هو الشهر التاسع القمري، والذي يؤمن المسلمون أن فيه بدأ نزول الوحي من الله - عز وجل - على محمد، ولأن شهر رمضان يصادف أوقاتاً مختلفة من السنة الشمسية على مر السنين، لذلك يتراوح طول يوم الصيام بين أقصر أيام الشتاء البارد وأطول أيام الصيف الحار.

وصيام شهر رمضان يعني الامتناع عن الطعام والشراب -
بما فيها الماء - والمعاشرة الزوجية، وكل أنواع المتع كالموسيقى
وغيرها، ويبدأ الصيام من طلوع الفجر حتى غروب الشمس،
والغاية من الصيام أن يتمرن الصائم على إنكار الذات، ويتعلم من
جديد الشكر لله على نعمة الطعام والشراب التي وهبها الله له.

والصوم يدعو الإنسان للنظر وبعين العبرة إلى المصائب
التي تُصيب كثيراً من سكان العالم، ممن يعيشون حياتهم اليومية
دون أن يجدوا على الأقل هذه الضرورات الحياتية الأساسية،
ورمضان هو شهر أريد منه أن تسمو به قيم الحب الروحية والأمانة
والإخلاص والكرم والعناية بفقراء المجتمع.

ينتهي صوم النهار عند غروب الشمس، عندها تجتمع
العائلة وتشارك في وجبة خفيفة تسمى الإفطار - أي الفطور -
وقبل حوالي ساعتين من طلوع الشمس يتناول المسلمون وجبة
طعام تسمى السحور من أجل صوم نهارٍ جديد.

وفي نهاية شهر رمضان يحتفلون بعيدٍ، ويدعى هذا العيد
بعيد الفطر، أي العيد الذي يفطرون فيه وينتهي شهر الصيام،
واحتفالاً بالعيد تجتمع العائلات ويتبادلون الزيارات والهدايا.

رابعاً: الزكاة..

وتعني في العربية الطهارة، إلا أن الغاية من إطلاق هذا التعبير في الإسلام هو تزكية الممتلكات المادية التي يمتلكها الإنسان، بأن يدفع بشكل نظامي عطاءً بنسبة معينة عوناً للفقير، وتُطلب الزكاة من كل مسلمٍ، وهي الركن الرابع من أركان الإسلام، وعندما يُعطي الإنسان من ماله للآخرين، يتطهر قلبه من الأنانية ومن حب الثروة، كما أن من يأخذ هذه المساعدة يذهب من قلبه الحقد والحسد.

والإسلام مثل المسيحية الحقبة فكلاهما يبينان أن المؤمنين لا يملكون في هذه الحياة شيئاً، وأن كل ما يملكونه هو عطاء من الله، وما هو إلا أمانة هم مؤتمنون عليها من قبل الله.

ونسبة الزكاة هي اثنان ونصف في المائة من مجموع ثروة الفرد، ولا يدخل فيها أي عطاءٍ آخر أو صدقة أو مساهمة في إعاناتٍ أخرى خلال السنة.

والغاية الأساسية من الزكاة هي مساعدة الفقراء
والمحتاجين من المسلمين والداخليين في الإسلام حديثاً، ويمكن
اعتبار الزكاة نوعاً من الضمان الاجتماعي وبرنامج سلامة للفقير
ولتأمين حاجاته، ولقد شعرتُ مراراً أن الكنيسة بإمكانها - بل
وعليها - أن تطبق مثل هذا النظام مذ زمن طويل عوضاً عن إلقاء
المسؤولية على عاتق الحكومات.

قال أحد علماء الإسلام عن الزكاة: الصلاة توصلنا إلى
منتصف الطريق إلى الله، والصوم يحملنا إلى باب حمده أما الزكاة
فتضمن لنا الدخول.

خامساً: الحج..

هو خامس أركان الإسلام وآخرها، وعلى المسلمين أن يحجوا إلى بيت الله الحرام في مكة المقدسة مرة واحدة على الأقل خلال حياتهم لمن كان قادراً على الحج مالياً وصحةً.

فالركنان الأوليان يختصان بواجبات يومية والركنان الآخران - أي الصوم والزكاة - واجبٌ سنوي، أما الخامس وهو الحج فيُعتبر أشرف أعمال العبادة والحدث الأسمى في حياة المؤمن.

ووقت الحج يكون في الشهر الثاني عشر من السنة الهجرية، أي تقريباً بعد ستين يوماً من انتهاء رمضان، أما مناسكها وشعائره فتُؤدَّى من الثامن وحتى الثالث عشر من شهر ذي الحجة، وهو الشهر الأخير في التقويم الإسلامي.

لماذا يحج المسلمون؟

إن الغاية من الحج زيارة مكة التي وُضِعَ بها أول بيت للعبادة بناه إبراهيم عليه السلام - الكعبة - ويؤمن المسلمون أن إبراهيم عليه السلام ترك زوجته هاجر وابنها إسماعيل عليه السلام في منطقة مكة النائية الجبلية الجذباء، ولما سمعهما جبريل يكيان عطشاً وطلباً للماء، فجّر لهما نبعاً هو بئر زمزم الذي ما زال باقياً إلى الآن.

أما مدينة مكة فقد بُنيت قرب هذا البئر، وهو مصدرٌ نادرٌ للماء في تلك المنطقة، والحجاج المسلمون يزورون البئر ليتذكروا ما أَلَمَّ بالسيدة هاجر وإسماعيل عليه السلام، ويشربون من مائه العذب المنعش، ويؤدي الحجاج عملاً آخر وهو الطواف - أي الدوران - سبعة أشواطٍ حول الكعبة وهم يدعون الله ويقرؤون القرآن، وقد استعمل الرقم سبعة في الكتاب المقدس لأنه رقم مقدس يمثل الدقة والكمال والتمام، وطول الكعبة أربعون قدماً، وعرضها ثلاثة وثلاثون قدماً وارتفاعها خمسون قدماً، وهي مكسوّة بقماشٍ أسود عليه آياتٌ من القرآن الكريم كُتبت بخيوطٍ من ذهبٍ، وزواياها الأربعة تتراصف مع النقاط الأربع لمحيط الدائرة.

ومن مناسك الحج أيضاً زيارة منى وهو المكان الذي كان سيُصْحَى فيه بإسماعيل عليه السلام، وجبل الرحمة حيث ألقى الرسول خطبة الوداع، وكثيرٌ من المسلمين يذهبون إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول ﷺ ومسجده، ولتمام الحج على الحاج أن يذهب إلى القدس لزيارة المسجد الأبعد، والذي دُعي بالأقصى على جبل المعبد، ليشهدوا المكان الذي أُسري منه بمحمد ليلة الإسراء.

والحج رمز لوحدة الإسلام، وربما كان أفضل مثال على استجابة كثير من الأمم والأعراق والثقافات لدعوة الإسلام، وفي الحج يتساوى المسلمون، فلا تمايز لأحد على أحد، وباجتماع الملايين في حشد واحد عظيم، تذوب الحواجز والأضغان والخلافات، نساءً ورجالاً، لا فرق بين غني وفقير، أميٍّ ومتعلم، قوي وضعيف، حاكم ومحكوم، عربي وعجمي، كلهم يقفون كشخص واحد يرتدي كل واحد منهم ثوباً متناسقاً بسيطاً أبيض غير مَخِيْط، ويردد وهو خاشع:

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ.

الفصل الرابع
الإسلام والمسيحية
والأرضية المشتركة بيننا

لا شك أنَّ القارئ سيتذكر ما ذكرتُ في الفصل الثالث من أنَّ أحد أهم العناصر الخمسة للإيمان في الإسلام هو الإيمان بالكتب المقدسة ومنها التوراة والإنجيل، وقليل من المسيحيين من يعرف أنَّ رسول الإسلام محمداً قد آمن بأنَّ عيسى وموسى كانا أهم من حمل وحيَّ الله إلى البشر، وتلك الرسالة قدستها وحفظتها التوراة والعهد الجديد.

ويُصدق الإسلام كلا الكتابين، ويتضمن القرآن أقساماً من كليهما وكما أنَّ المسيحيين يعتقدون أن العهد الجديد جاء مُتمماً لعهد اليهودية القديم، كذلك فإنَّ المسلمين يعتقدون أنَّ الإسلام والقرآن يُعتبران التتمة النهائية لكلا الكتابين، وأنَّ محمداً هو آخر أنبياء الله ورسوله.

وينظر الإسلام إلى التوراة والإنجيل أنهما وحي موحى من الله إلى البشر، كما أن القرآن يدعو اليهود والمسيحيين بأهل الكتاب ويعني بالكتاب الكتاب المقدس: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: 46]

ويحث القرآن المسلمين على السعي للجلوس (سليماً)
مع أهل الكتاب، وبذل الجهد ليجدوا الأرضية المشتركة فيما
بينهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً
مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤٠﴾ [سورة آل
عمران: 64]

والإسلام يأمر بكل صراحة أن لا يُقدَّسَ أو يُعبدَ أيُّ نبيٍّ أو
رسول أو قدِّيس ولا أي كائن بشريٍّ بأيِّ شكل أو طريقة، ويرى
الإسلام أنَّ وضع أيِّ كائن بشريٍّ بين الله والعبد مَحْضُ بطل
وضلالٍ، بما في ذلك حالات التَّشْفُعِ ببعض القديسين كتلك
الطقوس التي يمارسها العديد من الكنائس والطوائف، كما أن
القرآن يصدق مراراً وصراحة الكتاب المقدس، ويؤكد بصورة
خاصة على أنبياء العهد القديم - التوراة -؛ وكُتِبَ شريعة موسى
الخمسة الأولى، وأجزاء من الإنجيل - العهد الجديد- فيقول:
﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ

وَعِيسَى وَالنَّبِيِّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ [سورة آل عمران: 84]

والمسلمون مدعوون لاتباع السيرة الطيبة لأنبياء الكتاب
المقدس الأوائل: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ
أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَفْرُقُوا فِيهِ كَبْرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [سورة الشورى:

[13]

وكذلك فإن القرآن ينص بوضوح على أن للمسلم الحق بأن
يتزوج من امرأة كتابية مُحصنة، وأن يأكل من طعام أهل الكتاب:

﴿الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
حَلًّا لَكُمْ وَطَعَامَكُمْ حَلًّا لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ

يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ

الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ [سورة المائدة: 5]

ومع أن اليهود حالفوا أعداء الإسلام المبكر، فإنهم لم يكونوا ولم تكن اليهودية هدفاً لمحمد ﷺ أو الإسلام، والتاريخ يشهد أن اليهود عندما كانوا أثناء القرون الوسطى مضطهدين في أوروبا، وجدوا السلام والألفة والقبول بين شعب إسبانيا المسلم، وبالفعل كانت هذه الحقبة من التاريخ اليهودي هو ما يُسمونه بالعصر الذهبي.

يقول رابي مينكن: لقد كانت إسبانيا المسلمة التي عرفها اليهود بعد ألف عام من التشرذ، أنها البلد الوحيد الذي اعترف بموسى ميمونيديس كطبيب.

وبعد سقوط إسبانيا لحق اليهود بالمسلمين إلى مراكش ومصر، حيث أصبح ميمونيديس الطبيب الخاص للقائد المسلم العظيم صلاح الدين، الذي أرسله إلى الملك ريكاردوس ليعالجه.

وفي عهد الحكم العثماني وإمبراطوريتهم العظيمة عاش المسلمون واليهود وازدهروا معاً، وبعد أن استولى الملك المغولي

التتري على بغداد، دخل في الإسلام، وأراد أن يحرر جميع المسلمين من الأسر، فأفتى الإمام ابن تيمية بأن الملك يجب أن يحرر المسلمين وغير المسلمين إذا كان مسلماً حقاً، ففعل.

وتشهد وقائع التاريخ أن المسيحيين لم يكونوا مُضطهدين في تعاملهم مع المسلمين زمن حياة النبي محمد، فلقد سمح لوفد مسيحي من نجران أن يبقى ويصلي في مسجد المدينة، ونصح النبي محمد المسلمين الأوائل أن يُهاجروا إلى بلاد الحبشة التي كانت يومئذ نصرانية لكي ينعموا بعدل الملك المسيحي، ومحمد هو الذي حرر من الأسر ابنة حاتم زعيم قبيلة طي النصرانية.

وكما سبق أن بيَّنا، فقد وقعت عدة حروب وأعمال عدوانية بين الكنيسة الكاثوليكية الرومانية والإسلام، وخصوصاً أثناء القرون الوسطى، عندما تنافس أفراد من الرؤساء الدينيين على السيطرة والقوة.

أما روما وفارس فلم تكتفيا بإنكار الإسلام ومحمد كرسول لإله، بل أعلنتا الحرب على الإسلام، ولقد اعتبرت كنيسة روما الحرب ضد الإسلام هي من أجل العالم المسيحي.

وفي الحقيقة، فقد صدرت الأوامر بإحضار رأس محمد العنيد إلى محكمة روما الملكية، تماماً كما كان يجري سابقاً لكثير من المسيحيين، وإنها لحقيقة مؤلمة أن نرى الناس - ونحن على عتبة القرن الحادي والعشرين - يثيرون الحرب والأعمال العدوانية باسم دياناتهم، حتى أضحت في كثير من الحالات غير قابلة للتمييز بينها وبين القومية.

إن غاية رسالة الإسلام ورسول الإسلام هي إعلان دعوة التوحيد، ليتحد المسلمون والمسيحيون واليهود معاً في العبادة والطاعة المشتركة للرب الواحد، رب الناس والأمم، ومع أن هذه الدعوة لم تلق الإجابة، فإن الإسلام والقرآن لم يدنهم أو يضطهدهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ

أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ [سورة

البقرة: 62]

هل الله هو ذاته في كل من القرآن والكتاب المقدس؟

بحثنا في الفصل الثالث بشكل مفصل طبيعة أسماء الله التي أوردها القرآن، وركزنا على عقيدة التوحيد أو وحدانية الله، والمسلم يعتقد أنّ التسليم لله الواحد الأحد ربّ الكون هي رسالة القرآن.

أما بعض الصفات الأولية لله التي جاءت في القرآن والتي تظهر مُطابقة تقريباً لتلك التي وردت في الكتاب المقدس:

* **أزلية الله:** كلتا الديانتين تُقرّان أنّ الله - سبحانه وتعالى - ليس له بداية ونهاية؛ وليس له حدود كالتي في قوانين الطبيعة التي هو خالقها والتي يُمُدّها بأسباب البقاء، وليس له جسم كشكل الأجسام، ولا مادة لها حجم أو قياس، والقرآن والكتاب المقدس يتفقان في أن الله كان في البدء أو أنه هو الذي بدأ البداية؛ وأن الله كان السبب الذي لا سبب له، وهو الذي بدأ السلسلة الأبدية الظاهرة للعيان للسبب والمسبب، التي تدل على أن الشيء الذي بدأ الوجود كان من اللاشيء، وأنه مدعو للوجود بقدرة الله، فإسناد مثل هذه القدرة والمُسلمات لغير الله هو شرك وهو ذنب كبير في الإسلام، لا يغفره الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: 48]

وكذلك فإن الكتاب المقدس يحكم على من يعبد غير
الله بأنه مشرك، وذلك في الوصايا العشر:

(لا تنحت لك تمثالاً، ولا تصنع صورة مِياً مما في
السَّماء من فوق، وما في الأَرْض من تحت، وما في الماء من
تحت الأَرْض ۞ لا تسجد لهمنَّ ولا تعبدهنَّ، لأنِّي أنا الرَّبُّ
إلهك إلهٌ غيورٌ)

(سفر الخروج: الإصحاح 20/الآية 4-5)

إن عقيدة التوحيد الثابتة لدى المسلمين تشرح سبب نجاح
الإسلام في مُقاومة النظريات البشرية - الأيديولوجيات -
كالشيوعية والرأسمالية والقومية والمادية، ولو أن الإنسان الغربي
فهمَ فكرة الإسلام البسيطة هذه، لما صدَّق الدعاية التي نشرتها
الحكومات عندما أعلنوا أن كثيراً من البلاد والزعماء المسلمين هم
شيوعيون، إذ بثبات عقيدة المسلم لم يعد ممكناً أن يكون المسلم
حاملاً لبطاقة الشيوعية، كما لا يُتوقع أن ينتمي المسيحي إلى
عقيدة الإلحاد العالمي ويدعمها.

* الخالق:

فالله في القرآن وفي الكتاب المقدس مُعَرَّف بأنه الخالق الوحيد لكل شيء، فلا المسيحي ولا المسلم يعتقدان أن الكون والسموات والأرض والحياة في جميع أشكالها المعقدة وخواصها العالية يُمكن أن تُعزى إلى احتمال الصدفة أو عن طريق الاختيار الطبيعي العشوائي، فكلٌّ من القرآن والكتاب المقدس يُخص عملية الخلق بالله:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: 54]

وكل مسيحي يعلم أن سفر التكوين في الكتاب المقدس يؤكد نفس المبدأ، فالله هو المبدع والخالق والمُمدُّ لكل الموجودات بأسباب الحياة:

(في البدء خلق الله السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وقال الله:
لِيَكُنْ نور فكان نور ۝ ورأى الله النُّور أنه حسن وفصل الله بين
النُّور والظُّلْمَة ۝ وسمى الله النُّور نهاراً والظُّلْمَة فسماه ليلاً،
وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً) (سفر التكوين: الإصحاح 1/ الآية 3-5)

كلتا الروايتين تنسبان خلق الإنسان إلى الله، إلا أن المسلم
يرفض عقيدة التشبيه، وهي أن الإنسان خُلِقَ على صورة الرَّبِّ،
حتى أننا هنا لن نجد اختلافاً بين العقيدتين، لأن تفسير سفر
التكوين لا يعني أن الله خلقنا لنعكس وجوده الفعلي، لأننا نعلم
أن الله هو روح مُنزه عن طباع البشر، مثل قابلية الغواية
والمخاصمة، إنما نحن انعكاسات من الله فيما وهبنا من اختيار
وإرادة وعقل وإحساس.

وقد ذُكر في كل من القرآن الكريم والكتاب المقدس أن
الله - سبحانه وتعالى - على كل شيء قدير، عليم بكل شيء
وأنه كَلْبِيُّ الوجود - موجود في كل مكان - وهو الخالق الذي لم
يُخلق، والملك المهيمن والحاكم، وهو الذي ليس كمثلته شيء
وإله ما كان وما هو كائن وما سيكون.

* الهيمنة:

يُبيِّن الإسلام أن الله - سبحانه وتعالى - رقيب على كل شيء بما في ذلك قدر البشر مجتمعين ومُنفردين، والله يقضي كيف يشاء على خلقه ومخلوقاته، ولا شيء يحدث بدون إذنه وسلطانه، وهو يقول: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سورة الأنعام: 59]

والآن فلنقارن هذا الشرح البليغ لسلطان الله وهيمنته بهذا المقطع من العهد الجديد، الذي يُشجّع تلاميذ المسيح على أن لا يخشوا الناس أو أن يهتمهم معاشهم اليومي لأنهم أرسلوا مُبشِّرين:

(أما يباع عصفوران بفلس واحد؟ ومع ذلك لا يقع واحد منهما إلى الأرض خفية عن أَيْبِكُمْ إرادة الله ٥ وأما أنتم فحَتَّى شعر رؤوسكم كله معدود ٥ فلا تخافوا إذن! أنتم أعزُّ من

عصافير كثيرة) (متا: الإصحاح 10 / الآية 29 - 31)

إن سلطان الله كما ذُكر في القرآن والكتاب المقدس متشابه بشكل يُلفت النظر، فالأنبياء الذين ذكرهم العهد القديم يتكلمون عن عرش الله الممتد والذي وسع الأرض.

وذكر في الكتاب المقدس أن الله يقضي بخلق الملوك والقواد والعباد لِيُنفذوا أوامره السماوية، كما بينها قورش ملك فارس وكثير غيره، وهذا أيضاً ما ذُكر في القرآن: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [سورة البقرة: 255]

والكتاب المقدس مثل القرآن، يصف الله أنه الحاكم والمهيمن على العالم كله، وعلى جميع الأمم والممالك منذ بدء الخلق وإلى آخر الزمن، وهو الرقيب الأبدي على التاريخ والزمن والفضاء.

* حرية الاختيار:

إن حرية الاختيار للإنسان لا تتعارض وإرادة الله، سواء في عقيدة الإسلام أو المسيحية، والإسلام يؤكد على إرادة الله وهيمته التي تُدعى أحياناً بالجبرية وهذا مجاف للصواب، فإرادة الله لا دخل لها في القدر أو الحظ، ومن المُسلّم به أن الله عالم بكل الأشياء قبل حدوثها، وأن الطريق المقدر لكل إنسان أن يسلكها مرسومة ومكتوبة مسبقاً عند الله، ولكن ذلك لا ينفي بشكل ما المسؤولية الأخلاقية لاختيار الفرد.

الله يعلم الخيارات التي سنعملها ومصيرنا النهائي، لكننا لا نعلمها، إذن فالحياة هي في الحقيقة خيارات متعاقبة سلسلة خيارات مبنية على إرادتنا الحرة الخاصة، وسواء سمينها بالحتمية أو بالقدر المسبق أو الكلفانية - أي مذهب كالفين - فالإنسان يختار طريق حياته الخاص، والله سبحانه وتعالى يُمهّد له السبيل قبل ولادته بزمن طويل، وهذا ما جاء في سورة الفاتحة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: 1 - 7]

وتنشأ اختلافات أساسية بين الإسلام والمسيحية في تطبيق وفهم علاقة الله بالإنسان، فمثلاً: في الإسلام لا يُعزى أبداً إلى الله أنه أب، لأن هذا ينسب صفات البشر إلى الخالق، فالله - سبحانه وتعالى - ليس له زوجة، لذا فالكائنات البشرية ليسوا أبناء الله.

وعند المسيحيين أيضاً عقيدة أخرى عامة في التشبيه تشمل الاعتقاد أن الأب المحب يرتاح يوم السبت، وأنه يبغض أعداءه، وله وجه ويدان وأقدام، وكل هذا مرفوض في الإسلام.

كما أن الإسلام يرفض أن يُعزى إلى الله أنه أبو أمةٍ، ويرفض أيضاً زعم اليهود وبعض الطوائف المسيحية في أن ما يُحدد صلة الإنسان بالله هو انحداره من عائلة يهودية، وهذا الوجود خيرٌ من الإطاعة والتسليم له.

في الحقيقة إن شمولية عالم المؤمنين بالله الواحد الأحد بالاتفاق مع كثير من المقاطع الواردة في الكتاب المقدس يُوضح أن الله ليس له انتماء خاص، أو التزام لأي شعب من الشعوب، أو أي دولة، والمؤمنون بالله يسمون فوق رقعة شطرنج الأنظمة السياسية والنظريات البشرية، وأولئك الذين يخضعون لله ويطيعون

أوامره في أي مكان في العالم، ويتصلون روحياً بالله؛ يصبحون
الأمة الوحيدة: أمة الله القدوس الواحد الروحية.

ما هي حقيقة اعتقاد المسلمين بالمسيح عيسى عليه السلام؟

ورد ذكر عيسى بهذا الاسم في القرآن أكثر من خمس وثلاثين مرة، وورد في نصوص كثيرة بأسماء أخرى، وأدخل في روعي ومن خلال ما تعلمتُ - كرجل مسيحي - أن المسلمين لا يؤمنون بعيسى المسيح ولا برسالته، ولا حتى بوجود ذكر له في التاريخ.

في عام 1987م في دمشق شاركت في حوار طويل مع المفتي الكبير الشيخ أحمد كفتارو، الرئيس الروحي للمسلمين في سورية، وبعد مضي خمس ساعات من المحادثات، تناولنا موضوع عيسى المسيح، ولشد ما أدهشني أن مضيفي بدأ بيانه الافتتاحي قائلاً: أخي العزيز أنت لا يمكن أن تكون مسلماً حقاً ما لم تُحب عيسى وتحترمه وتُكرِّمه!!

يذكر القرآن عيسى أنه المسيح، عبد الله، ابن مريم، وكلمة الله ورسوله، حتى أن عيسى نفسه يُعتبرُ آية من الله، وكلما يرد اسمه يُسَلَّم عليه بـ (عليه السلام).

وفيما نحن بصدد البحث عن المعتقدات المشتركة، فسوف ندرس أهم تعاليم القرآن في هذا الموضوع، وأطلب من القارئ أن يقارنها بتلك التي جاءت في العهد الجديد:

1- ولادة عيسى العذرية:

نبدأ بقصة زكريا، وهو نفسه الذي ذُكر في كتاب لوقا الطيب الذي أُلّف الإنجيل الرابع، إنجيل لوقا.

وذكر في كلا الكتابين - القرآن وإنجيل لوقا - أن زكريا كان راهباً هراماً، وقد توسل إلى الله أن يرزقه ولداً، ورد فيهما أن الله وعده بأن يرزقه بغلام، وفي كلا الكتابين لم يتكلم زكريا كآية من الله، وذلك الغلام اسمه يحيى في الكتابين، الذي يعني (الحياة)، والذي أصبح معروفاً أنه رائد عيسى - سابقه - واشتهر يحيى المعمدان أو المتعبّد، وهذه القصة مذكورة بكاملها في السورتين (آل عمران ومريم).

ولنلاحظ شدة التشابه بين النصين الآتين:

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [سورة مريم: 7]

(فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا لأنّ طلبتَكَ قد سَمِعَتْ وامراتك أَلِصَابَاتُ ستلُدُ لك ابناً وتُسَمِيهِ يُوحَنَّا)
(لوقا/1: 13)

وفي سورة مريم تُخصص ما يقرب من 45 آية لقصة مريم وعيسى، وفي سورة آل عمران رواية مُختصرة لما جاء في سورة مريم، ولنقارن النَّصَّيْنِ الآتِيَيْنِ لكلام جبريل للسيدة مريم العذراء في كلا الكتابين:

جاء في القرآن: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران: 47]

وجاء في الكتاب المقدس: (فقال مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لستُ أعرف رجلاً) فأجاب الملاك وقال لها، الرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكَ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تَظَلِّكَ فَلذَلِكَ أَيضاً الْقُدُوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ (لوقا: 1/34-35)

وجاء أيضاً في القرآن: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [سورة آل عمران: 45]

وجاء في الكتاب المقدس: (فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة الله) وها أنتِ ستحبلين وتلدن ابناً وتسمينه يسوع) يكون عظيماً وابن العلي يدعى ويعطيه الربُّ الإلهُ كرسيَّ داود أبيه (لوقا: 1/30 - 23)

ومريم أم عيسى هي المرأة الوحيدة التي ذُكرت في القرآن باسمها الحقيقي - الأصلي - ومع أن القرآن يدعو المسلمين إلى احترام السيدة مريم لدرجة كبيرة، إلا أن هذا الاحترام أو التبجيل لا يصل إلى درجة العبادة.

2- معجزات عيسى:

ورد ذكر بعضها في القرآن، والتي ذُكرت في القرآن محدودة إذا قورنت بتلك التي في الإنجيل أو العهد الجديد:

① **وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٠﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَلْحَلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿١١١﴾** [سورة آل عمران: 49 - 51]

3 - رسالة عيسى في الإنجيل:

كانت مصدقة، وأولئك الذين بُلِّغوا الإنجيل كانوا مطالبين أن يلتزموا بتعاليمه، وقد جاء في القرآن الكريم:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة المائدة: 46 - 47]

يقول العالم الإسلامي المحترم والمفسر عبد الله يوسف علي: إن التأكيد على فهم جملة ﴿بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ التي جاءت في الآية السابقة والتي تعني الرسالة التي جاء بها المسيح متلازمة مع ما بلِّغ الرسول محمد. مثل هذه الآيات تدعو المسلمين إلى وضع المسيح في المقام العالي من الاحترام، وأن يشعروا بالقرابة للمؤمنين من المسيحيين الحقيقيين، وهذا ما تعكسه الآية التالية:

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

[سورة المائدة: 82]

وفي الآية التالية: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: 113 - 115]

4- القيامة لدى المسيح:

هي القاعدة الأساسية للديانة المسيحية: والمسلمون يؤمنون أن الله رفعه بشكل ما، وربما ذلك يُشبهه ما حدث للراهب (إينوخ)⁽¹⁾ عندما رُفع أو نُقل إلى مكان ما، وقد ذكر القرآن رفع عيسى في النص القرآني التالي: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ فَاذْلُقْ مِنْ هَذِهِ الْأَفْئِدَةِ الَّتِي كَفَرْنَا بِهَا وَاللَّهُ يَخْتَارُ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾

(1) لم أجده في الموسوعة.

اتَّبِعُواكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ [سورة آل عمران: 55]

وفي النص الآتي إشارة واضحة صريحة إلى قيام المسيح إذ يتحدث عن نفسه بنبوءة نبوية: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [سورة مريم: 33] هل يعتقد المسلمون بصلب المسيح؟

إن صلب المسيح عيسى ليس مقبولاً كحقيقة واقعة في القرآن وبالتالي في الإسلام، ويبين القرآن صراحة أنه حتى وإن ادعى اليهود أنهم صلبوا المسيح عيسى إلا أنهم لم يصلبوه، ولكن بُدِّلَ بشخص آخر وصلب عوضاً عنه.

إن إنكار الصلب مصحوب بالرفض الصريح لأي ادعاءات وردت في الإنجيل بأن الله تجسّد في المسيح عيسى وأن عيسى أُعطي السلطان المطلق في السماء وفي الأرض، وهذا ما يُشكل أكبر خلاف - أو الخلاف الوحيد - بين الإسلام والمسيحية، فَرَفُضُ عقيدة الصلب وتأليه المسيح ليس غريباً عندما تُؤخذ عقيدة التوحيد أو وحدانية الله بعين الاعتبار.

إن الاعتقاد بأن الله إله الكون نزل إلى الأرض على هيئة بشر، ووُلِدَ من امرأة، ونهض بغموض محتفظاً بكل قوته وسلطاته،

بينما يسمح لرجال أشرار أن يُنفذوا خطتهم ويصلبوه على شجرة بين لصين وضيعين هو اعتقاد لا ينسجم مع عقيدة المسلم، ولا يقبله بأي شكل من الأشكال، فالله - سبحانه وتعالى - لا يعدله شيء، ولا يتزوج ولا يلد ذرية، وهكذا فإن عقيدة البنوة وصلب المسيح يعتبران إضافات أُدرجت فيما بعد إلى الإيمان والعقيدة المسيحية:

❁ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ [سورة النساء: 157 - 158]

ولكن ماذا يُفهم من هذا النص عن عودة المسيح؟ هل يشير إلى موت جسدي وبقاء روحي حي؟ أم أن المسيح بدا أنه مات وحسب كما يؤكد عدد من نقاد الكتاب المقدس العالميين منذ زمن بعيد؟

بالنسبة للمسيحي - على ضوء علم النقد النصي - فإن اعتماد المناهج - الميثولوجيا - كتفاسير وعلوم تاريخية وكهنتوية هي في اعتبار نص العهد الجديد مرفوضة، وجوابها بالنفي لا لبس فيه.

ومحور الإيمان عند المسيحي يتركز على شخص المسيح،
أما المسلم فيتركز محور إيمانه على رسالة المسيح، ويصعب على
المسلم التوفيق بين صلب المسيح عيسى وعدل الإله ورحمته
وقدرته وحكمته، ولطالما أن الله غفر لآدم وحواء ذنبهما الأصلي،
فما حاجته لأن يقدم ضحية لبقية البشر. ومن حيث الأساس يؤمن
كل المسلمين أن خلاص المسيح من الموت كان برفعه، أو بقيامه
بقدره الله، وصعوده إلى السماء سواء قبل موته الجسدي أو أثناء
كونه حياً، فقد تم صعوده إلى السماء، وقد رفعه الله إليه.

ما هي المواضيع الأخرى من الكتاب المقدس التي يتناولها القرآن؟

لا بد أن يفاجأ المسيحيون إذا علموا أن كثيراً من المواضيع التي جاءت في الكتاب المقدس والتي يعتبرونها روح عقيدتهم، وردت في القرآن ويعتبرها المسلمون هامة، فالقرآن تحدث كثيراً عن مواضيع لها صلة باللاهوتية والعقيدة المسيحية، ولأن الغاية من هذا الكتاب لم تكن استنفاد الكلام عن الإسلام، فلذلك سنهتم فقط ببعض المواضيع الأساسية الأكثر شمولية وأهمية في اعتبار العقيدة المسيحية:

1 - الملائكة: سيتذكر القارئ ما قد أسلفنا من أن

الإيمان بالملائكة هو أحد عناصر الإيمان الخمسة الأساسية في الإسلام، وهو على رأس عناصر الشهادة.

ويذكر القرآن أن الملائكة كائنات روحانية يُنفذون أمر الله، لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون، ولا يملكون أي رغبات طبيعية كانت أم مادية، ولا يُحصى عددهم، ولكل واحد منهم واجب معين، وقد خلقهم الله لخدمة البشر.

ويعتبر المسلمون جبريل عليه السلام أهم الملائكة، ويدل على ذلك الرسالة التي أُرسِل بها إلى السيدة مريم، كما يعتقدون أنه ظهر أمام محمد ﷺ ويؤكد القرآن أن الملائكة علينا حَفَظَةٌ لتحميننا طيلة حياتنا: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [سورة فصلت: 31]

ولكل إنسان مَلَكَان يلازمانه منذ ولادته، مكلفان بتسجيل أعماله، أحدهما مكلف بتسجيل الأعمال الصالحة والآخر بتسجيل أعمال السوء والشر، والله العليم يعلم كل ما نعمل أو نعمل، وكل ما تكتبه وتسجله الملائكة ليست الغاية منه سوى حث الإنسان على عمل الخير، والتأكيد على أنَّ العدل المطلق سوف يأتي من الله عندما يقف كل الناس أمامه في يوم الحساب النهائي.

إن الملائكة تُرافقنا طيلة رحلة الحياة وإلى الأبد، ويقفون معنا أمام عرش الدينونة، حيث تُحاسب أمام الله عن أعمالنا:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ يَعْلَمُونَ مَا


تَفْعَلُونَ ﴿ [سورة الانفطار: 10 - 12]

وُتُعْطَى الْمَلَائِكَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْوَالِقِينَ بِاللَّهِ الشَّجَاعَةَ لِلصَّبْرِ
لِمُوَاجَهَةِ الشَّدَائِدِ وَالتَّغْلِبِ عَلَيْهَا لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُهُمْ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ
تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت: 30]

وتذكّر المؤمنون أن يسعوا للوصول إلى الحياة والسعادة
الأبدية التي وُعدوا بها في الجنة، ويتقبل المسيحي عن طيب
خاطر هذه الصور التي وصف بها القرآن الملائكة طالما أنهم
جزء لا ينفصل عن العقيدة المسيحية، ويُعزى إليهم نفس القوى
والغايات في العهد القديم والعهد الجديد.

وجبريل هو المَلَكُ الذي أُرسل للسيدة هاجر وابنها إسماعيل
في الصحراء القاحلة، وفَجَّر لها بئراً من الماء ليُنجّيها من العطش،
ثم أَسْرَّ لها وعد الله بأن يجعل ابنها الجدّ الأكبر لأُمَّة عظيمة.

(وسمع الله بُكاء الصَّبِيِّ، فنَادَى ملاك الله هاجر من
السماء وقال لها: مالذي يزعجك يا هاجر؟ لا تخافي، لأن الله
قد سمع بكاء الصبي من حيث هو ملقى  قومي واحملي

الصبي, وتشبثي به لأنني سأجعله أمة عظيمة) (سفر التكوين: 62/24)

(65 -

جبريل وميكائيل هما ملكان مهمان، أعطيا مهمات عديدة في كلا العهدين، ويعتبر جبريل أهم الملائكة في كل من القرآن والكتاب المقدس، والاسم جبريل يعني في اللغة العبرية رجل الله، وهو الذي بلّغ الرسالات لهاجر ودانيال ومريم وزكريا، وهو الذي بلّغ القرآن للنبي محمد □.

2 - السماء، الجحيم والخلود: استعار دانتى في كتابه

الشهير (جحيم دانتى) في وصف أهوال الجحيم كثيراً من وصف الشعراء العرب المسلمين لأهوالها، والحق أن القرآن صور بتفصيل حيّ العذاب الذي ينتظر أولئك الذين اختاروا لأنفسهم أن يقضوا حياتهم غير مبالين بحقائق وجود الله وما أوحى إلى الإنسان.

والقرآن كالكتاب المقدس يصف المكان المُعدَّ لجزاء المؤمن والمكان المعد لعقوبة العاصي، إنَّ كلمة الجنة التي تستعمل مجازاً هي مكان المكافأة، وهي جنة المسلم المؤمن، وبعد انتهاء الحساب بين يدي الله يدخل جنة النعيم، حيث ينعم

المؤمنون بأنهار جارية وعين لا تنضب وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وينابيع من عسل وفواكه لذيذة من كل نوع كما في الآية:

﴿ قُلْ أُوْنِبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [سورة آل عمران: 15]

وأيضاً: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَّدَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [سورة محمد: 15]

ولنلاحظ الصورة التي أُشير إليها في سورة محمد بكلمة: (مَثَلُ)، وهذه الكلمة جاءتنا من الكلمة اليونانية (بارابيلوس) التي تعني: قصة خيالية تبين حالة خُلُقِيَّة أو مبدأً دينياً، فكذلك وصف الجنة في الكتاب المسيحي - الكتاب المقدس - هي في طبيعتها بارابيلوس، جاء في الكتاب المقدس:

(هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام
وجرّثوني بهذا قال ربُّ الجنود إن كنت لا أفتح لكم كُوى
السّموات وأبيض عليكم بركة حتى لا توسع) (ملاخي 3: 10)

إن كتاب الرؤيا - رؤية حنا اللاهوتية - في العهد الجديد
يستخدم العديد من الأمثلة والصور ليعرّف الجنة، وفيه أن للجنة
أبواب وعروش ونجوم وملائكة تنزل إلى الأرض وكثير من
المسميات الوصفية الأخرى.

ومعظم هذه الأوصاف موجودة في كتاب الرؤيا وفيه وصف
للجنة أنها مكان لا موت فيه ولا حزن ولا ألم ولا بكاء البتة،
وذلك كما في:

(وأراني نهراً صافياً من ماء حياة لامعاً كبلورٍ خارجاً من
عرش الله والخروف، في وسط الطريق وعلى التّهْر من هنا
ومن هناك شجرة حياة تصنع اثنتي عشرة ثمرة وتعطي كل شهر
ثمرها، وورق الشجرة لشفاء الأمم) (رؤيا يوحنا: 1/22 - 2)

صَوَّرَ المسيحيون الجنة منذ زمن بعيد أنها مكان راحتهم
الأبدية، ومساكنهم لها دروب مرصوفة بالذهب والأحجار
الشمينة.. الخ.

ونحن عندما نأخذ بعين الاعتبار الخلفية التاريخية والثقافية
حين سَطَّرَ القرآن والكتاب المقدس، عندها نفهم أن استعمال كلمة
تصوُّر إنما كان لوصف الجنة للمؤمنين الأوائل، والكتابان كلاهما
- القرآن والكتاب المقدس - يحاولان أن يرسموا صورة لعالم بعيد
عن إدراك وحس العالم الذي نعيشه ونراه ونشعر به.

والقرآن والكتاب المقدس كلاهما يصوران الجحيم بأنها
المآل النهائي للشيرير والآثم والظالم والفاسق، وكلاهما يصف
الجحيم بأنها عقاب دائم وعذاب بالنار واللهب:

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ
الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي
الْأَصْفَادِ ﴿٤٨﴾ [سورة إبراهيم: 48 - 49]

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴾ [سورة الإنسان:

[4

(وإن أعثرتك عينك فاقلمها خير لك أن تدخل ملكوت الله
أعور من أن تكون لك عينان وتطرح في جهنم النار ۞ حيث
دودها لا يموت والتار لا تطفأ ۞ لأن كل واحد يملح بنار)
(مرقس: 47 - 49)

(يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع
المعاصر وفاعلي الإثم، ۞ ويطرحونهم في أتون النار، هناك
يكون البكاء وصرير الأسنان) (متى: 13، 41 - 42)

ويؤمن المسلمون والمسيحيون بحرفية معنى الجنة والنار
أي أنها واقعية، بينما لا تزال ثمة فئة من المسلمين والمسيحيين
ينظرون لمتع الجنة وعذاب النار الموعودين على أنها رمز للنعيم
أو للعذاب الروحي، وعند المؤمن والمسيحي فإن بذل الجهد
للوصول إلى الكمال الخلقى، والسعي للتمسك بفضائل العدل
والرحمة والشفقة في هذه الحياة ستهيئنا لحياة الآخرة الآتية.

3 - يوم الدين: وهو الاعتقاد الثالث المشترك بين

المسلم والمسيحي، واليوم الآخر ويوم الدينونة والحساب يتلازم مع يوم القيامة، والإسلام يبيّن أن كل البشر سُمِعَتون أمام الله ليلاقوا حُكْمه، وهذا الحدث الأخير أُشير إليه في القرآن بأنه يوم الجزاء، ويوم الغضب، ويوم الفصل، ويوم الحق، ويوم الجمع، في هذا اليوم تُوزن أعمال كل إنسان بأمر من الله، ويُجازى وفقاً لنتيجة ميزانه، فأما التقي فيدخل النعيم، وأما الشقي فإلى النار.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣٠﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٣١﴾﴾

يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٣٢﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٣٣﴾ [سورة الانفطار: 13-16]

[16]

ويبيّن القرآن أن يوم الدين يسبقه أزمّة اختلاط الكون واضطرابه وظواهر غير طبيعية تُؤثر على الخلق والطبيعة، ويمكن أن نرى توافقاً بين أحداث يوم الدين التي ذكرها الإسلام وبين عودة المسيح الثانية والأخيرة التي ذُكرت في الكتاب المقدس، والروايتان كلاهما توضحان أن هذه الأحداث هي أوج أو ذروة نهايات العالم والإنسانية، وعندما تقع هذه الأحداث تبدأ الأبدية:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٢﴾
﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ ﴿٥﴾
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٦﴾﴾ [سورة الانفطار: 1 - 5]

(وحالاً بعد الضيقة في تلك الأيام، تظلم الشمس،
ويحجب القمر ضوءه، وتتهادى النجوم من السماء، وتترزع
قوات السماوات، وعندئذ تظهر آية ابن الإنسان في السماء،
فتنتحب قبائل الأرض كلها، ويرون ابن الإنسان آتياً على
سحب السماء بقدرة ومجد عظيم) (متى 24 / 29-30)

وفي يوم الدين أو الدينونة سيكون للمسلم والمسيحي
محاسبة، ويجب فيه على كل إنسان أن يُجيب عندما يُسأل عن
أفعاله وعمّا عمل خلال حياته على الأرض:

﴿وَكُلِّإِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ اِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الإسراء: 13 - 14]

(من الناس من تكون خطاياهم واضحة قبل المحاكمة،
ومن الناس من لا تظهر إلا بعد المحاكمة ﴿١٤﴾ وقياساً على ذلك

فإن الأعمال الصالحة تكون واضحة مسبقاً، والأعمال التي

ليست بصالحة، لا يمكن أن تظل مخفية) (الرسالة الأولى إلى

تيموثاس 5/24-25)

وفي العقيدة الإسلامية، فإن المؤمن سوف يُقَابَلُ بأصغر أعماله الصالحة، وما ارتكب من سوء أثناء حياته في الدنيا، وكل الخصومات، وكل ما صدر عنه من عمل صالح وعدل سوف يقيّمه وبيّنه الحَكَمُ الأخير، ألا وهو الشاهد على كل شيء:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى
وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ
اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة الحج: 17]

ويُبيّن الكتاب المقدس أن عودة المسيح ستسبق القيامة والدينونة النهائية، حتى أن القرآن يشير إلى أن المسيح آية لمجيء ساعة الدينونة، وكما بيّنا في دراستنا عن المسيح في مستهل هذا الفصل، ويبين الإسلام أن المسيح سيكون له دور فعال سيؤديه قبيل انتهاء الزمن.

① وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ [النساء: 159]

وحكم الله عند المسيحيين والمسلمين ينتظر كل البشر، وسيحاسب الجميع على أعمالهم وأفكارهم أثناء حياتهم الدنيوية، وهل سيرجح الإيمان الذي أقرنا به أعمالنا الصالحة على تلك السيئة؟ والشيء الوحيد الأكيد، هو أن حكم الله سريع ووعد وفصل.

4- أصل ومفهوم الخطيئة: هي لأول وهلة متشابهة،

لكنها تختلف عن الكتاب المقدس في أن الإنسان حر خُلِقاً، قادر على أن يختار بين العمل الصالح والعمل السيئ، بين طاعة أوامر الله وعصيانها، وفوق كل شيء أنه وُلِدَ دون خطيئة أصلية.

ويبين الإسلام أنه لا يمكن أن يولد الإنسان مع خطيئة أصلية وإنما يولد طاهراً، ويصف القرآن لنا الحالة التي يولد فيها الإنسان، وإنه يولد طاهراً، صادقاً، حُرّاً، مقبلاً على العمل الصالح وعبادة الله، وهذا ما يُدعى بالفطرة، ولطالما أن الله - سبحانه وتعالى - خلق الإنسان ونفخ فيه من روحه، فمن الطبيعي أنه

سيدخل هذا العالم في وضع البراءة المطلقة، فالخطيئة حسب ما يرى المسلم ليست من فطرتنا، ولكنها تنتج عما نفعل.

والخطيئة هي نتيجة التأثر بعالم متقلب ومجتمع فاسد، وهي نتيجة للازدراء والابتعاد عن الأمر الإلهي، والخطيئة كالجِزء الأبدِي لا يمكن أن تكون وراثية أو تورثياً، ولكن يجب أن تكون قد تمت بأعمال الفرد المتعمدة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الحج: 28 - 29]

فنفخة روح الله فينا تحول دون أن يأتي أيُّ إنسان لهذه الحياة مذنباً - حاملاً للخطيئة - والإنسان مرَّكب غريب من الأنانية وإيثار النفس، ولم يولد ميالاً لعمل الخير أو لعمل الشر، ولكنه يملك القدرة والاختيار ليعمل خيراً أو شراً.

ويبين العالم المسلم عبد الصمد⁽¹⁾ في كتابه (دراسة مقارنة بين الإسلام والمسيحية) ما يلي:

(1) لم نعرف من هو هذا العالم.

وقولنا: إن الإنسان مذنب حتى قبل أن يرتكب ذنباً، وأنَّ كل طفل يُولد بطبيعة فاسدة موروثة وغير قادر على تجنب الخطيئة، هو بلا شك طعن بالخالق.⁽¹⁾

ويعتبر الإسلام أن الخطيئة أو الذنب هي كل عمل أو تفكير أو إرادة صادرين عن:

- 1- تصميم.
- 2- وتحدي للقانون الإلهي الذي لا لبس فيه.
- 3- والتعدي على حق الله وحق الإنسان.
- 4- وأن يكون مؤذياً للروح والجسد.
- 5- وأن تتكرر تلك الأفعال.
- 6- وأن يكون اجتنابها ممكناً وبشكل طبيعي.

وباختصار فإن الذنب هو نسيان الله، وهو تعدٍ متعمد - وعن إدراك - لإرادة الله ووحيه.

5- الندم والاستغفار من الذنوب: هما جزء لا يتجزأ من الإيمان في العقيدة الإسلامية، ويجب أن يأتي الندم أولاً قبل

(1) كتاب (دراسة مقارنة بين الإسلام والمسيحية)، الصفحة (95-96).

الاستغفار، وعلى الإنسان أن يُبرهن على ذلك بإخلاص، ليكون خالداً في جنة النعيم.

﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴿52﴾

[سورة هود: 52]

إن هطول المطر في صحراء الجزيرة العربية القاحلة من أعظم النعم التي يمنحها الله لعباده، لذا عندما تكلم القرآن عن كون غزارة المطر تتناسب مع عظيم المغفرة، صار مفهوم مغفرة الذنب انعكاساً لرحمة الله ورأفته، فهو سبحانه غافر الذنب وَيُطْمِئِنُّ الْمَذْنِبُ النَّادِمُ الْمُسْتَغْفِرَ الَّذِي لَا يَعُودُ إِلَى ارْتِكَابِ هَذَا الذَّنْبِ.

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿90﴾

[سورة هود: 90]

وإن أسوء الذنوب عند الله الشرك، وهو أخطرها.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ

لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾

[سورة النساء: 48]

ولقد جاء في كثير من سور القرآن ما يُشير إلى خطورة وعظمة هذا الذنب، والقرآن كله يؤكد أنه لا يمكن لمن أطاع الله حق طاعته أن يسمح لأيِّ كان أن يكون له أو أن يُمنح ذات المستوى من تكريس التقديس لحضرة الله الواحد الأحد إليه الكون، وكل من يفعل ذلك فلا شك أنه يتعد عن الله ولن يجد عند الله مغفرة له.

ومع ذلك إذا ندم الملحد والمنكر لوجود الله والمشرك الذي يعبد آلهة متعددة واستغفر لله، ورجع إلى عبادة الله وحده فإن الله يُمكن أن يغفر له.

وختلاصة القول:

أن الإسلام يُبين أن البشر صالحون نسبياً، ومن حيث الأساس هم أحرار وقابلون للتغيير، والذنب ليس غير قابلٍ للتخلص منه، بل قابل لتجنبه، وليكون الذنب ذنباً مُعاقباً عليه لا بد أن يكون عن عمد وسابق إرادة وتصميم على تعدي القانون الإلهي الذي لا يُبس فيه، ويُعلن الإسلام علاوة على ذلك أن الطرد من رحمة الله ينزل بالإنسان من أعلى مستوى يُمكن أن يصل إليه في هذه الحياة الدنيا إلى أدنى مستوى من الانحطاط الروحي والطرد أو البعد عن الله بسبب اقتراف المعصية المتعمد، وهذه الأعمال مجتمعة تُدعى الذنوب.

الفصل الخامس
التشويه الشائع للدين الإسلامي
والتصورات الخاطئة له

كانت الديانة المسيحية في مطلع تاريخها ديناً جديداً ومكروهاً، وما ذلك إلا لأن أولئك الذين سمّوا أنفسهم نصارى أعلنوا أنهم ودينهم من عند الله، فأوذوا واضطهدوا وسُجِنوا وقُتِلوا دون سواهم، وكان البغض والاحتقار ملازماً لكلِّ نصرانيٍّ أو مسيحي في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وقد أُصقت بهم تهمٌ باطلة منها مخالفة الكتاب المقدس في كل مكان، واستعمل الحكام السياسيون كلَّ حيلةٍ وإشاعةٍ سيِّئةٍ ليخلقوا العداوة والبغضاء بين مواطنيهم وأتباع الديانة الجديدة المسماة النصرانية.

وحديثاً تستعمل لمهاجمة الدين الإسلامي نفس الأساليب والإشاعات التي استعملت ضد الديانة المسيحية في بداية عهدها، ففي كلِّ يوم تظهر المهاجمات في وسائل الإعلام لدى المجتمع الغربي ضد الإسلام.

والآن وبعد سنين مرّت على مثل هذه الافتراءات، ضُربت حواجز وسدود عظيمة لم تفصل بين المسلمين والمسيحيين فحسب، بل مكّنت الخيال - الوهم - من أن يطغى على الواقع، والكذب على الحقيقة، وبالتالي التعصب على التسامح.

وتركز جميع وسائل الإعلام الغربي أخبارها على مظاهر الإسلام على أنّها في غاية الخطورة والتهديد، وتبدي وسائل الإعلام هذه وتدعم وتزيد في تصوير الإسلام بالصورة الكاذبة وعلى أنه دينٌ عنيفٌ رهيب، عدوانيٌّ متعصب قمعيٌّ، وهذه الصورة المصطنعة قد صُوِّرت في كتب مهمة ومقالات لها شأنها وكذلك في أفلام شائعة وثقافة منتشرة، وقد أصبح المسلم كبش الفداء في العصر الحديث لرجال السياسة العلمانيّين والمبغضين لله في العالم.

ومما يُحزن أن ملايين المسيحيين في العالم قد قبلوا هذه التشوهات والدعايات كحقائق دون أدنى معرفة بالعقيدة الإسلاميّة وتعاليمها وهذا أحد أهدافنا في هذا الكتاب.

ومؤلف هذا الكتاب قضى شطراً كبيراً من حياته يعيش ويدرس بين سكّان العالم المسلمين ويعمل معهم، وإنّي وبحسب معرفتي المباشرة بطبيعة الإسلام الحقّة والشعب المسلم في القدس ومصر ولبنان وسوريا في الشرق الأوسط، وفي الهند والباكستان وكشمير قي آسيا، وبريطانيا وفرنسا وكندا والولايات المتحدة من الوسط الغربي، أُؤكِّد بكلّ إخلاص وثقة وصدق أن

الإسلام وغالبية المسلمين في العالم اليوم يعتقدون أن الإيمان يعني تنفيذ إرادة الله وإطاعة أوامره في حياتهم اليومية، وأن يحيوا حياة التزام يغذونها بالصلاة والصوم وقراءة القرآن وترتيله وتدبر معانيه، والحياة العائلية لدى المسلم الحقيقي هي الدعامة الأولى، وثمة قيّم أخرى هامة تدور حول الصدق في المعاملة، والكرم، والحب، والعفة الجنسية، والأخلاق الكريمة، والصفح عند الإساءة، وإكرام الفقير، إن المثالية الإسلامية منذ بدايتها الأولى في مكة وعند الكثرة المتزايدة للمسلمين اليوم هي الحياة العادية البسيطة والمستقيمة والخوف من الله.

ليست غايّتي أن أنزّه المسلمين فهم كغيرهم من المسيحيّين واليهود والبوذيين وغيرهم من أصحاب الأديان لا يخلون من الدجّالين والأفّاكين والمُدّعين وممن نصّبوا أنفسهم ناطقين باسمهم، وإذا أطلقنا الحُكم على الإسلام والمسلمين من خلال أو نتيجة أفعال وسياسة الأقلّيّة التي تدعو إلى العنف والكرهية والموت، فيجب إذن أن نحكم وبنفس الطريقة والمعيار على المسيحيّة والمسيحيين، واليهودية واليهود، والبوذيّة والبوذيين.

وإذا كانت حقوق الإنسان في بعض الأقطار الإسلامية غير مرعية فيجب أن يُحكم بنفس الحكم على حقوق الإنسان في الأقطار المسيحية مثل: غواتيمالا وتشيلي والسلفادور، والفيليبين والصرب الأرثوذكس في يوغوسلافيا، والتشوهات والمبادئ السلبية التي أُصقت بالإسلام إنما منشؤها الاتهامات الباطلة البعيدة كلَّ البعد عن الحقيقة.

وفي هذا الفصل وفي البحث القادم سنتناول بعضاً من الاتهامات الواسعة الانتشار والمتكررة ضدَّ الإسلام، هذه الاتهامات كناية عن العديد من الأسئلة التي غالباً ما كانت تُوجَّه إليَّ أثناء المحاضرات التي ألقيتها والندوات التي عُقدت عن الإسلام.

أَلَا يَعَامَلُ الْإِسْلَامُ النِّسَاءَ وَكَأَنَّهُنَّ مَمْتَلِكَاتٌ؟ أَلَسْنَ مَظْلُومَاتٌ وَيُعَامَلْنَ بِالْحَيْفِ؟

يجب علينا قبل كلِّ شيءٍ أن نوضح الفرق بين ما يأمر به القرآن وتقتضي به الشريعة الإسلامية، وبين مواقف وأفعال المغالين من المسلمين والعادات القبليَّة الذكوريَّة المسيطرة، فمعاملة المرأة في بعض الأقطار الخليجيَّة كما في بعض المدن الأفريقيَّة والآسيوية إنما هي نتيجة لأعرافٍ لازمتهم مقرونة بالتفسير المتعصب من قبل الرجعيين للشريعة الإسلامية، والبعد عن تعاليم القرآن الكريم.

وروي في الحديث عن الرسول ﷺ أنه قال: (الجنة تحت أقدام الأمهات) وهذه المظاهر السلبيَّة والمعروفة والشائعة في معاملة المرأة في بعض الأقطار الإسلامية أو بعض المدن يجب أن تُدرج تحت سياق العادات الثقافيَّة.

ولو تأملنا واقع المرأة في المجتمعات الجاهلية - أي ما قبل الإسلام - لرأينا أن الأَكثريَّة كُنَّ في حالة العبودية، ومما يُحزن أن النساء كن هدفاً للعنصرية والازدراء من قبل أكثر أجيال البشرية، فلم يكنَّ يتمتعن بحقوقهنَّ الشخصية، ولا بوضع اجتماعي شرعي، وكان

وأد البنات عملاً شائعاً، وكان الرجل عبر التاريخ مسيطراً على المرأة، ويعاملها على أنها جنس وضع وأضعف منه، وعاجز عن الاكتفاء الذاتي، وعاجز تماماً إن لم تتوفر حماية ودعم الزوج.

كانت المرأة قبل الإسلام شبه معزولة في عالم الهيمنة الذكورية في معظم أديان وثقافات العالم، ويمكن أن نروي أمثلة متنوعة وعديدة من الموسوعة البريطانية 1911 عن واقع المرأة، وكيف كانت عليه في الديانة الهندوسية:

في الهند، يعتبر خنوع المرأة مبدأً أساسياً يوجب عليها أن تبقى ليلاً نهاراً منقاداً لمن يحميها كنوعٍ من أنواع التبعية، يقول مانيوم: إن المرأة الصالحة هي المرأة التي تُبقي عقلها ولسانها وجسدها تحت السيطرة، وبذلك تحرز مكانة عالية في هذه الدنيا، وفي الآخرة تقيم مع زوجها.

والإمبراطورية الرومانية التي يصفها الكثير بأنها أدخلت القانون وأشكالاً من الحكومات المتطورة والمدنية إلى الأمم الأوربية والغربية، قد مارست التمييز الطبقي على النساء، وقد برهن على ذلك E. Allen في كتابه (تاريخ المدينة)

(The History Of Civilization)

حيث يقول:

وصف المؤرخون المرأة الرومانية كالطفل، وأنها شخص متدنٍ، قاصر، عاجز عن أيّ عمل يريد أداءه بحسب رغبته، هي شخص دوماً تحت وصاية وحماية زوجها.⁽¹⁾

ومرة أخرى نجد في الموسوعة البريطانية⁽²⁾ مجموعة القانون الروماني المتعلق بالمرأة، وجاء فيها:

في القانون الروماني كانت المرأة عبر التاريخ غير مستقلة تماماً، وعند زواجها تنتقل هي وما تملك إلى ملكية زوجها، وقد كانت المرأة الصيد الذي يسعى الرجل الزوج ليملكه، وليست سوى عبدٍ يحصل عليه لمنفعته الخاصة، ولم يكن لها حق أن تعمل في أية دائرة رسمية أو مدنية، وليس لها أن تكون شاهداً أو

(1) صفحة: 550.

(2) الطبعة 11.

وصياً، أو كفيلاً أو مرشداً، وليس لها الحق أن تَتَبَّنَى أو تُتَبَّنَى،
أو تعقد أو تُنفذ ما تُريد⁽¹⁾.

والمرأة في قانون اليونان القديم لم تحصل على وضع
أحسن بالرغم من الحضارة اليونانية، وكان يُنظر إلى نساء أثينا
كأطفال عاجزين، وهنّ دوماً بحاجة للقيادة والحماية والإعالة من
الرجال المحسنين.

نساء أثينا كنّ دائماً قاصرات خاضعات لذكّرٍ ما كالأب أو
الأخ أو لذكّرٍ ما قريب لهنّ، وكانت موافقة المرأة على زواجها غير
ضرورية وهي مُجبرة على الخضوع لرغبات والديها في قبول زوجها
وسيدها حتى ولو كان غريباً عنها⁽²⁾.

لقد صرح أعظم فلاسفة الإغريق أنه إذا مُنحت المرأة
حقوقاً تعادل حقوق الزوج فلا بد أن يضطرب المجتمع من حيث
أساسه.

(3) الموسوعة البريطانية مجموعة القانون الروماني المتعلق بالمرأة صفحة
(782).

Allen The History Of Civilization.E. (Pa: 443/444) (1)

واعتبر سقراط النساء كائنات ذنيئة، واقترح ديموثينيس وأفلاطون أن تعيش النساء معاً في مجتمعٍ منفصلٍ تماماً خاصٍ بالزوجات.

وشهدت الحقبة التاريخية التي ذكرها العهد القديم تعبيراً في النظرة إلى المرأة وفقاً للنظام العبري، إذ نالت النساء حرياتٍ شخصيَّة أكبر، منها المساواة الاقتصادية والاجتماعية مع الرجل، فسارة زوج النبي إبراهيم - عليه السلام - الأب الروحي للمسيحيين والمسلمين واليهود تمتعت بمكانة وحظوة ونفوذ، وراحيل حظيت من يعقوب حباً أكسبها التساوي معه في المرافقة والاستشارة خلال حياتهما العائلية، وكثير من النساء العبريات رَقَيْنَ إلى مناصب هامة وقيادة وطنية مثل مريم أخت هارون وموسى والتي ترأست الاحتفال العظيم بنصرهم على أعدائهم:

(فأخذت مريم أخت هارون الدف بيدها. وخرجت جميع

النساء وراءها بدفوف ورقص) (سفر الخروج 15: 20)

وصارت النبيرة ديورا القاضي الحقيقي لإسرائيل، حتى إنها

قادت الجيوش إلى النصر كما هو مكتوب في كتاب القضاة (8: 4)

(ولم يُفَقِّ أحدُ والدة صموئيل - حنة - في جميع إسرائيل
من حيث الذكاء والجمال والإخلاص الديني) (صموئيل الأول 2: 2 -
10)

وما زال الزواج يتم بين الوالدين والخاطب ولا لزوم لموافقة
المرأة.

وقد تجد هذا واضحاً في قصة يعقوب الذي عقد الصفقة
مع لابان، ليعمل عنده سبع سنين مقابل تزويجه من إحدى بناته،
وليفوز براحيل زوجة له، والنص في الكتاب المقدس صريح عن
وضع المرأة وحقوقها:

(وأحب يعقوب راحيل، فقال أخدمك سبع سنين براحيل
إبتك الصغرى ۞ فقال لابان لأن أعطيك إياها أحسن من
أعطيها لرجل آخر) (سفر التكوين 29: 18 - 19)

إن صفحات العهد القديم طافحة بقصص النساء اللاتي
رُؤِجْنَ للرجال كخادمات وشريكات جنس وولادات مثل هاجر
التي ولدت إسماعيل، وسجلت المسيحية والعهد الجديد تغييراً
بيّناً في نظرة العالم القديم إلى المرأة، فنقلتها من كونها متاعاً من
الأملك وملكاً للرجال إلى مرتبة الشرف والاحترام والنبالة.

ففساء العهد الجديد، بدءاً من مريم أم عيسى إلى مريم
ومارتا اللتان فتحتا بابيهما لعيسى وتلاميذه، يمثّلن دور المرأة
الأصيل: كزوجات وأتباعٍ وراعياتٍ ومعلماتٍ جديراتٍ بأن
يتساوَيْنَ مع الرجل في الاحترام والتقدير، وبعد ستمائة سنة ونيف
جاء الإسلام ليؤكِّد من جديد على حقوق المرأة وحرّيتها شاملاً
نساء العالم.

والآن سندرس ما هي تعاليم القرآن فيما يتعلق بدور المرأة
في الأمور الروحية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وسيُدهش
القارئ لدى مقارنة تعاليم الإسلام الحقيقية بممارسات
المجتمعات والحكومات المتحيزة للرجل، والمتصفة بالرجعية
والجهل والتعصب الذميم:

آ - مظهر المرأة الروحي في القرآن

لكي نفهم ذلك يجب أن نبدأ من نفس نقطة الخلق كما
نجدها في الكتاب المقدس روايات الخلق.

سبق أن قارئنا تعاليم الكتابين كليهما والدينين ودوننا التشابه القوي بينهما، غير أن القرآن والإسلام يختلفان عن الكتاب المقدس والمسيحية في أن القرآن لا يلوم حواء، وبالتالي المرأة بسبب خطيئة آدم العفوية والهبوط من الجنة، فقد كانا مخطئين كلاهما لعصيانهما أوامر الإله، وقد ندم كلاهما واستغفرا فغُفِرَ لهما.

❁ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِحِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ۝ فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتِحُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۝

[سورة الأعراف: 20 - 22]

كان الزوجان الأَوْلَان اللذان خلقهما الله - آدم وحواء - خاطئين لعصيانهما أوامر الله وتحذيراته، لذا طردا من الجنة، والإسلام يعترف للمرأة بدورها الكامل والمتعادل مع الرجل في تكاثر البشرية،

نظراً لكون المرأة - الأم - وكون الرجل - الأب - كلاهما عنصر أساسي لدوام الحياة:

❁ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٤٩﴾ [السورة الحجرات: 49]

وتوالد كل البشر كما نصّت عليه الآية الكريمة من زوج واحد، والقبائل والأعراف والأمم هم زمر متقاربة، وبها يمكننا تمييز بعض الخصائص المختلفة، إلا أنها أمام الله واحدة - تشترك بالتساوي مثل أبويها الأصليين - في العقوبة والجزاء، فيكافأ المحسن ويعاقب المسيء، فالنساء المؤمنات ينلن نفس المكافأة الروحية التي ينالها الرجال المؤمنون، وهم جميعاً يدخلون الجنة:

❁ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ [سورة النساء:

[124]

❁ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [سورة النحل: 97]

❁ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [سورة الأحزاب: 35]

فمن هذه النصوص الوجيزة من القرآن الكريم لا بد وأن يتضح لنا وبجلاء أن الدين الإسلامي يعتبر أن النساء متساويات مع الرجال روحانياً، وأن الرجال ليسوا بأي وجهٍ مفضلين عند الله عن النساء، وأن النساء المسلمات المؤمنات الطائعات سَيَنْلَنَ نفس المكافأة الروحية التي سينالها الرجال في جنة الخلد.

ب - وضع المرأة الاجتماعي في الإسلام

هو أيضاً المساواة والاحترام كما ذُكِرَ بكلِّ صراحة في القرآن الكريم، إذ أن تقدير المرأة في الإسلام جاء في النصوص القرآنية التي عارضت ممارسات الظلم والأذى التي كانت تُرتكَبُ بحقهن في الجزيرة العربية في تلك الأيام.

ومن العادات الرهيبة لدى أمم كثيرة كانت عادة وأد البنات وهنَّ أحياء شائعة، وما زال هذا العمل البغيض يُمارَس في بعض أجزاء الهند وإفريقيا وآسيا.

وكان بعض الوثنيين من العرب يكره أن يكون له بنات لأنهم كانوا في حالة حرب دائمة، وبحاجة لأولادٍ ذكور محاربين ليعينوهم في حروبهم ضد أعدائهم، وهكذا انتشرت وبسرعة هذه العادة الإجرامية بدفن البنات وهن على قيد الحياة في التراب، ولقد وُصِفَت حالة النساء المتدنية في النص القرآني الآتي الذي يبين أن البنت المولودة حديثاً إما أن تُقتَلَ أو تُترك حية، وإذا

تُرِكَتْ حِيَةَ أَضْحَتِ عَارًا يَلْصِقُ بِالْأَبِ، وَمِثَارًا لِلْسَخْرِيَةِ مِنْ قَبْلِ
الْقَبَائِلِ الْآخَرَى وَالزَّعْمَاءِ.

❁ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ
كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ
عَلَىٰ هَيْوَنٍ أَمْ يَدْءُسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٨﴾
[سورة النحل: 58 - 59]

وَيُذَكِّرُ الْقُرْآنَ هَؤُلَاءِ الْوَثْنِيِّينَ أَنَّ الطِّفْلَةَ الْبَرِيئَةَ الَّتِي وُئِدَتْ وَلَمْ
يُسْمَعْ لَهَا صَوْتٌ وَلَمْ تُعَارَضْ أَوْ تَقَاوَمَ قَاتِلُهَا، سَوْفَ تَأْتِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَتَشْهَدُ ضِدَّ قَاتِلِهَا، وَحِينَئِذٍ يَسْوَدُ الْعَدْلُ:

❁ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝
وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا
الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مِمَّا
أَخْضَرَتْ ﴿٨﴾ [سورة التكويد: 8، 14]

والحديث المشهور عن النبي محمد ﷺ الذي جاء بحق
قتل البنات يُنكر بوضوح تفضيل الأبناء الذكور على الإناث والذين
هم من نفس العائلة. (ابن حنبل: 1957)

كثرت المغالطات حول الزواج في الدين الإسلامي، وزعم المشوّهون أن النساء والزوجات في الإسلام لسنّ سوى مجرد متاع مملوك وخادمات حُرْمَنَ من حرية الاختيار الشخصي وحتى من أهم حقوق الإنسان الأساسية، وسننظر فقط في أكثر الاتهامات شيوعاً وفي سوء فهم الزواج ووضع المرأة المسلمة، ومرة أخرى سنسمع القرآن والسنة كيف يضعان أماننا التطبيق الذي يقضي به الإسلام.

هل للنساء المسلمات حق الخيار في الزواج؟

لا يمكن إكراه المرأة على الزواج من أيِّ كان بدون موافقتها الشخصية، وهذا ما قضت به الشريعة الإسلامية المأخوذة من القرآن والسنة، وتروّج الأفلام الأمريكية التي تُمثّل في هوليوود قصصاً وهمية تصوّر فتاة في ريعان الصبا، جميلة، يجبرها أبواها على الزواج من رجل مُسنِّ بشعٍ فَظٍّ لأنه غنيٌّ قد اختاراه لها دون موافقتها.

والآن فلنتأمّل ما جاء به الحديث في هذه المسألة الهامة:

عن ابن مسعود: أنّ فتاةً جاءت إلى رسول الله محمد ﷺ وشكت إليه أنّ والدها أجبرها على الزواج دون موافقتها، فخيّرهما رسول الله ﷺ بين قبول الزواج أو رفضه. (ابن حنبل: 2496)

وفي رواية أخرى عن نفس الحادثة قالت البنت: قد أجزت ما صنع أبي، لكنني أريد أن تتعلّم النساء أن ليس للوالدين أن يفرضوا الزواج عليهن. (ابن ماجه: 1873)

والحقيقة أن حكم الإسلام يوجب على الوالدين أن يتحرّيا الشريك المناسب لأولادهم لكي يهيئوا لهم زواجا سعيداً، ولكن

القرار النهائي يبقى في يد الرجل والمرأة، وعندما كنت شاباً أدرس علم الآثار في عدة بلاد أجنبية أعيش بين المسلمين، شاهدتُ شخصياً مراحل الزواج بين مخطوبين متوافقين، للمرأة الحق دائماً أن تنهي العلاقة متى شاءت، يقضي المخطوبان الوقت معاً، وترافق الفتاة عادةً إحدى صاحباتها من عائلتها للمراقبة عن كثب، وبعد فترة طويلة - كالتى يدعوها الأمريكيون القدماء المغازلة - تُتخذ الإجراءات النهائية للعرس.

وبما أن كلا الفريقين - أهل الزوج وأهل الزوجة - يعلم بقيام الصلة مع عائلة الآخر، لذا تتعرف كل عائلة على عائلة الآخر، وهكذا تقوم بينهما علاقة ليست كما هي عليه في المجتمع الغربي، والذي لو اتبعها لقضى على التوتر والمخاضات السائدة بين أهل الزوجة والزوج، يعني الحمارة والكنة والصهر والحمارة.

ويشير القرآن بوضوح إلى أن الزواج هو المشاركة بين نصفى المجتمع، وأن أهدافه - عدا استمرار حياة الإنسان - هو السعادة العاطفية والتآلف الروحي، وأن قاعدته الأساسية مبنية على المحبة والرحمة.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الروم: 30]

ومن الطبيعي أن يجد الرجل والمرأة الحياة الهنيئة معاً، وأن لا يقتصر الرباط بينهما على العلاقة الجنسية، إنما على المحبة والرحمة، وهذا الوصف للزواج والعلاقة بين الرجل والمرأة يشمل تبادل الرعاية والتقدير والاحترام والعطف.

ويصف القرآن الأزواج والزوجات كاللباس لبعضهما البعض، يقدم كل منهما للآخر المعونة والراحة، والطمأنينة والحماية، ويناسب كل منهما الآخر كما ينطبق اللباس على الجسم.

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [سورة البقرة: 187]

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ:

(أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيارهم خيارهم

لنساءهم) (ابن حنبل: 7396)

وختلافاً لكثير من الديانات والثقافات، فإن الإسلام يمنع بيع المرأة عند الزواج بمهر يدفع للوالدين، وعندما تتزوج المرأة يكون من متممات الزواج أن يدفع العريس للعروس مهرها الذي اتفق عليه، وليس كما هو الحال في إفريقيا وآسيا، إذ أن ثمن العروس كناية عن مكافئة تُعطى لوالد العروس.

فالمهر عند المسلمين هو هدية يقدمها العروس لعروسه وهي ملكها الخاص، وتقتضي الناحية الإنسانية تجنب الطلاق ما دام تجنبه ممكناً، ويحث القرآن على بذل كل جهد للمصالحة بين الطرفين، غير أنه إذا فشلت كل المساعي فللمرأة الحق كما للرجل بأن تنهي العلاقة الزوجية، فإذا وقع الطلاق، فعلى المرأة أن تنتظر - أي تعتد - ثلاثة شهور، وعلى زوجها أن يتعهد خدمتها ونفقتها، والغاية من فترة الانتظار هذه ليتبين ما إذا كانت الزوجة حاملاً أو لا، ويمكن أن تكون سعيًا لتهدئة الخواطر، ومجالاً لأفراد العائلة والأصدقاء والوجهاء للسعي للوصول إلى الصلح، وخلال فترة الشهور الثلاثة لا يحق للزوج أن يُخرجها من البيت، إلا إذا رغبت بتركه.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ
وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَبِيرًا﴾ [سورة النساء: 35]

وإذا تصالح الزوجان، فيمكنهما معاودة الحياة الزوجية في
أي وقت شاء خلال فترة الانتظار في الشهور الثلاثة، وعندها
يلغى الطلاق، ويمكن أن يتكرر الطلاق مرة ثانية، ولكن إذا تكرر
مرة ثالثة يصبح طلاقاً نهائياً.

ج - حقوق المرأة المالية في الإسلام

هذه الحقوق قلَّ أن تُعرف عند الغرب، ولكنها عرفت عند
المسلمين منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

هل للمرأة المسلمة أن تمتلك أي شيء بالاستقلال عن
زوجها؟ هل لها أن تعقد عقوداً قانونية ومعاملات لحسابها الخاص؟

هل لها أن تتوظف وأن تعمل خارج بيتها؟ وإذا كان ذلك
مرخصاً لها، فما هو مصير المال الذي تكسبه؟

إن استقلالية تملك المرأة عند المسلمين هي من أهم حقوق النساء الأساسية، كما أن حق المرأة في الشريعة الإسلامية، سواء في مالها الخاص أو أرضها أو أملاكها وغير ذلك من المجوهرات معترف لها بذلك دون منازع وغير قابل للتغيير أو التبديل، حتى بالزواج، وكل ثروة اقتنتها تبقى لها وحدها قبل الزواج وبعده، وتتصرف بها كما تشاء، والنساء المسلمات أحرار في الشراء أو البيع أو المقايضة أو رهن أو تأجير كامل ما يمتلكن أو جزء منه دون استشارة أزواجهن أو موافقتهم.

وأي دخل سواء كسبته المرأة من الأرباح أو بدلات الإيجار، أو نماء رأس المال، أو مكاسب العمل، فهو ملك لها كاملاً، ولا يمكن لأحد غيرها أن يتصرف به بما فيه زوجها إذا أراد أن يدفع نفقات المعيشة اليومية، إذ أن الإنفاق على العائلة، والتعليم وتأمين حاجات الزوجة والأولاد هي من مسؤولية الزوج.

د - هل يرخص للنساء المسلمات العمل والظهور أمام العامة؟

لقد دعمت حرب الخليج أساس أخطر الاتهامات التي توجه إلى الإسلام عن الانحياز والتحامل في التعامل مع النساء وذلك عندما عاد الجنود الأمريكيان إلى وطنهم من منطقة الخليج، ليصفوا المرأة المسلمة بأنها رهينة محبسها في البيت، لا يسمح لها بالخروج من دارها، وممنوعة من قيادة السيارة لوحدها، وبشكل عام فهي ممنوعة من الظهور أمام العامة.

ليس في القرآن نصٌ ما يؤيد أمثال هذه الأعمال ضد المرأة المسلمة، والحق أن بعض الأقطار والمجتمعات الإسلامية قد أعادت النظر في حالة المرأة، وهي تسعى للقضاء على عادات وممارسات القرون الماضية فيما يتعلق بوضع المرأة، وحقيقة القول أن هذه الأوضاع والممارسات القديمة البالية لا يقبلها ولا يطبقها عموم المسلمين، ولا يعمل بها إلا قلة نادرة.

إن تأثير المديّة الغربية على العالم كان له في الحقيقة أثر في تغيير وتقوية دور المرأة في المجتمع، فالتغييرات التي تمت تختلف ما بين قطر إسلامي وآخر، إن تأثير التحديث والتغريب على النساء في أقطار الشرق الأوسط، كمصر وسورية ولبنان، يتعارض بشدة مع ما تسير عليه النساء في المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، ويُشاهد اختلاف كبير بين المدن والأرياف في نفس القطر.

وليست النسوة في كثيرٍ من البلاد الإسلامية مرخص لهنّ العمل خارج دورهن والظهور أمام العامة فحسب، بل إن منهنّ من اجتمعتُ بهنّ وعملتُ معهنّ، ومنهنّ من يتولين أعلى المناصب السياسية الهامة في حكوماتهن منهن رئيسات وزارة ووزيرات وسفيرات.

ولقد عملت مع العديد من النساء المسلمات في مضمار الدراسة الأكاديمية، وفي القضاء، وإدارة الجامعات، وقاضياتٍ في المحكمة العليا، وقد وجدت في هؤلاء النساء غاية الكفاءة، لا أقلّ من أي مسلم آخر يُخلص في إيمانه، فإذا أرادت المرأة أن تعمل، فلها الحرية، شريطة أن تضمن سلامتها وشرفها.

ولا يمنع القرآن المرأة من أن تقبل التوظيف، أو أن تتابع خطة مهنية، ومن المناسب أن تختار المرأة عملاً أكثر انسجاماً مع طبيعتها المميزة وقابليتها كطبيبة أو ممرضة، أو مُدرّسة.. الخ.

ويعرف حجاب المرأة في اللغة العربية بالبرقع ولم يرد فيه نص صريح في القرآن، وقد جاء في القرآن مدح النساء اللاتي يساهمن في حياة المجتمع والمسؤولية الدينية المشتركة جنباً إلى جنب مع الرجل لعبادة الله، وليحيوا حياةً فاضلة، ولقد صلت نساء المسلمين وحاربن مع الرجال في بدايات الإسلام الأولى.

وقد مر معنا أن زوجة الرسول ﷺ السيدة خديجة كانت تتمتع بدرجة عالية من الغنى والشرف قبل اجتماعها وزواجها الذي كان نتيجة فطنتها في إدارة قوافلها وتجارته، لذا يتوجب على أولئك الذين يصرون اليوم على ارتداء المرأة البرقع - الأمر الذي يتطلب منها الانفصال عن الرجال ممن ليسوا من عائلاتهنّ - إيجاد الأدلة التي وردت في القرآن، والتي تنهى المرأة عن المشاركة الاجتماعية.

هل حقاً يجب على المرأة المسلمة أن تضع الحجاب؟

إن الحجاب هو الرمز المعروف والمميز للعالم الإسلامي الكبير، مثلما أن صليب المسيح عيسى رمز المسيحية.

إن أكثر وسائل الإعلام الغربي المعاصرة تُصور المرأة المسلمة دوماً كأنها شكل إنساني بالكاد أن يُعرف، مُغطى من قمة الرأس إلى أخمص القدمين بقماش أسود رهيب.

لكن هذا التصوير الشائع ليس مثلاً حقيقياً لتعاليم الإسلام في العالم الإسلامي، ومرة أخرى أقول: إنني عشت ودرست وحاضرت في العديد من الأقطار الإسلامية، فوجدت أن معظم النساء لا يضعن البرقع.

إن تاريخ الحجاب يجب أن يُدرس، لتتوصل إلى فهم سبب عدم إجماع المجتمعات المسلمة على ترك الحجاب أو ارتدائه.

والحجاب والبرقع يُعتبران متلازمين، فعندما يُرتدى الحجاب يكون ارتداء البرقع ممكناً، وكل من الحجاب والبرقع

عادتان اكتسبتا من المجتمعات الفارسية والبيزنطية بعد الفتح،
والقرآن يأمر الرجال والنساء بغض البصر، يقول سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ
ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ
إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ
نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا
يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوَوُّأ إِلَى اللَّهِ
جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿30﴾ [سورة النور: 30 - 31]

وغض البصر أمر إلهي موجه للنساء والرجال على حد
سواء، ففتتبع الرجل بنظره للمرأة الأجنبية - أو لرجل آخر - ليس
من مكارم الأخلاق العالية بشيء، والقصد من غض البصر حمل
النفس المؤمنة على العفة والطهارة ظاهراً وباطناً، وإن مسؤولية
سلوك المؤمنين المسلك الأخلاقي الرفيع مسؤولية يتحملها

الجميع، ومن الضروري أن يتجنب كل مسلم أن يكون سبب
تعثر أخلاقية وروحانية مسلمٍ آخر.

هذا اللوم والتحذير يشبه ما جاء في العهد الجديد، في
رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس التي يشير فيها إلى مسؤولية
كل مسيحي مؤمن تجاه الآخرين:

(كونوا بلا عثرة لليهود ولل يونانيين ولكنيسة الله) (10):

(32)

إن تحجب المرأة مذكور في الكتاب المقدس، ومن
المدهش أن معظم المسيحيين يجهلون أن لباس الحجاب كان
معمولاً به وشائعاً منذ قرون وقبل ولادة الإسلام، ولا أدلّ على
ذلك من المقابلة بين إسحاق ورييكا المذكور في:

(وكان إسحق قد أتى من ورود بئر لحي رئي، إذ كان
ساكناً في أرض الجنوب ٥ وخرج إسحاق ليتأمل في الحقل
عند إقبال المساء، فرفع عينيه ونظر وإذا جمال مقبله ٥
ورفعت رفقة عينيها فرأت إسحاق فنزلت عن الجمل ٥ وقالت

للعبد من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائنا، فقال العبد هو
سيدي، فأخذت البرقع وتغطت) (سفر التكوين: 24/62 - 65)

لنلاحظ التشابه بين نصوص القرآن ونصوص الكتاب
المقدس، إذ أن كليهما يقران أن الحجاب كان يُلقى على بعض
أو كل الجسد كنوع من الحشمة، وعلى المسيحيين المؤمنين أن
يجهدوا مخلصين كنظرائهم من المسلمين بأن يُظهروا ولو القليل
من الحشمة، وذلك بانتقاء اللباس المناسب أمام العامة.

(وكذلك أن النساء يزين ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع
وتعقل لا بصفائر أو ذهب أو لآلى أو ملابس كثيرة الثمن ۞ بل
كما يليق بنساء متعاهدات بتقوى الله) (تيموثاوس: 2/9 - 10)

ونادراً ما يرد ذكر الحجاب في القرآن، في حين أن وضع
الحجاب والوشاح يُبقي الوجه ظاهراً، والحجاب هذا أصبح رمزاً
لكثير من النساء المسلمات الغنيات والمثقفات، وقد أصبح هذا
الرمز (الحجاب) معروفاً لدى الغرب بمشاهدة كثير من النساء
المسلمات يضعن هذا الغطاء من مناطق مختلفة وقد تسلمن
مناصب سياسية عُليا مثل رئيسة وزراء باكستان السابقة السيدة

المحترمة بنازير بوتو، وقد أصبح مألوفاً أن نرى في كثير من المدن في أمريكا النساء المحجبات وهن في طريقهن إلى العمل، أو في الميادين العامة.

لقد اتخذ ارتداء الملابس السوداء ووضع الحجاب الأسود من قبل بعض النساء في السبعينيات وسيلة لمعارضة شاه إيران، وسبباً لقيام ثورة إيران، وقد أصبح شعب إيران مستاءً من تغريب بلدهم وثقافتهم، ومع ازدياد حركة معارضة الحكومة، أخذت النساء الإيرانيات يكتسبن بلباس الشادور، أو بوضع الحجاب أو الوشاح الذي يُبقي فقط الوجه ظاهراً، وفي عام 1979 قامت النسوة بالتظاهر ضد القانون الذي جعل لبس الشادور إجبارياً.

ومع أن هذا القانون قد ألغي، فما زال الحجاب إجبارياً في كل مكاتب دوائر الحكومة، وفي صيف 1980 وفي نفس الوقت مُنعت الدراسة المختلطة، وحُظّر على النساء المهن القانونية والقضائية.

وهذه الأحداث المتميزة التي جرت في إيران كان لها أعظم تأثير على تصور الغرب عن الإسلام.

الخلاصة:

ليس في القرآن أمر صريح بأن تضع المرأة حجاباً يغطي الوجه، كما لا يأمرهن بلبس الشادور، إلا أن القرآن يحكي عن الحشمة وحماية المرأة أمام العامة من نظرات الرجال الشهوانيين، وذلك بتغطية أجزاء جسمها البارزة.

إن كلمة الحجاب الواردة في القرآن والكتاب المقدس بالشال والمعطف، وقد استعملت ريبكا شالها أو معطفها لتغطي صورتها ولتتمكن من لقاء إسحاق، لذا فإن القرآن أكد على مظهر الحشمة أمام العامة، وليس على تغطية الوجه، إن الفكرة أو القول بأن تُغطي المرأة بالكامل يؤيده تفاسير القرآن، كتفسير البيضاوي للآية (31) من سورة النور، والبيضاوي من أشهر المفسرين، عاش في القرن الثالث عشر، ولنلاحظ فيما يلي التفسير:

(في الحقيقة إن جسد المرأة مثير للشهوة، لذا لا يجوز شرعاً أن يرى أحد أي جزء من جسدها، ما عدا زوجها أو أقاربها المحرمين).

واليوم نرى كثيراً من النساء اخترن راضيات وضع الحجاب أو الشادور أو الغطاء، مع أنه لا يوجد قانون يجبرهن، ولا ضغط اجتماعي يلزمهن بذلك، فطالما أنه لا إكراه على المرأة بارتداء الحجاب، فلماذا يتحجبن؟

ذلك لأنه عند البعض يعتبر رمزاً وكناية عن اتباعهن الإسلام، في حين أنه عند الأخريات هو رمز لرفضهن واستيائهن من اتباع المجتمع الغربي المتفسخ السلا أخلاقي الذي يدّعي الدفاع عن حرية المرأة، وفي نفس الوقت يُثابر على دفعهن ليُكننَّ أداة للاستثمار الجنسي والمتعة لصالح ثقافة الهيمنة الذكورية.

إن كلاً من الرجال والنساء المسلمين - أحراراً كانوا أو محافظين - يشمئزون ويروعهم ظهور النساء العصريات المتحررات الفاضح وحرثتهن الجنسية، وهو ما يعتبرونه جزءاً من تحرر المرأة لدى الغرب، وأفضل بيان على ذلك ما كتبه الكاتبة المسلمة فاطمة مرنيسي:

(في الوقت الذي نجد فيه استثمار المرأة المسلمة يُعَمَّى بالحجاب ويُدفن وراء الجدران، نجد استثمار الغرب للمرأة يتسم بصبغة رديئة، كونها سافرة، عارية ومعروضة أكثر مما يجب).

هل يدعو القرآن إلى الجهاد أو الحرب المقدسة ضد الغرب أو ضد كل من هو غير مسلم؟

بالإضافة إلى ما يصوره الغرب عن الحجاب، فإن الجهاد يظهر على الدوام في وسائل الإعلام والمطبوعات الغربية مُصَوِّراً في جموع عظيمة من الرجال المسلمين يَلْوِحون بسيوفهم، عيونهم واسعة، ولحاهم سوداء، يحملون الموت والدمار لكل من يقاوم الرسول ورسالة الإسلام.

يردد رجال السياسة كلمة الجهاد ككلمة تطنُّ دوماً في آذانهم، وكذلك الأمر مع المعلِّقين ومختلف الزعماء الدينيين والعلمانيين الإنسانيين والملحدّين، وجميع هؤلاء يستخدمون هذا (التعبير) الجهاد ليُخفوا برامج معينة، وليشوا مشاعر الخوف والشك على شكل واسع في عقول وقلوب عامة الناس الجاهلة واللامبالية، وكغيره من جميع مظاهر الإسلام علينا أن نبحث عن المعنى الحقيقي للجهاد، وذلك من المصدر الوحيد الموثوق (القرآن الكريم):

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَلَبُوا وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة التوبة: 20]

في هذه الآية يتضح لنا المعنى الجوهري للكلمة العربية الجهاد، لأن هذه الكلمة هي التي وردت في نص القرآن، ويقابلها بالإنكليزية معنى الكفاح (Strive).

والجهاد هو المصدر لفعل جهد والذي يعني بذل الجهد والنضال، إنَّ ذِكْرَ الجهاد في القرآن يُشير إلى أيِّ مسعى يقوم به المسلم روحياً كان أو نفسياً أو جسدياً ليتقرب إلى الله، بجعل رسالة القرآن الرسالة العليا في حياته - ذكراً كان أم أنثى - والوصول إلى مجتمع عادل متناغم.

وباختصار فإن الجهاد يُراد به الجهاد في سبيل الله، وكل مسلم يسعى كي يحيا حياة المسلم الحقّة يُعتبر مُجاهداً، ويُقصد بذلك المسلم الذي يُناضل في سبيل الله والعدالة، ومن لا يرغب بالجهاد لا يربح شيئاً كما ورد في الآية: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [سورة النجم - 39]

المسلم هو من يحيا حياته وفق هدي الله ورسوله،
والمسلم هو من يعمل على تأسيس ونشر رسالة الإسلام في
المجتمع عن طريق أقواله وأفعاله، فالجهاد والكفاح أو النضال هو
أن يلتزم في نهجه صراط الله المستقيم، وقد وُصف الجهاد في
السُّنة بأنه نتيجة طبيعية لأركان الإسلام الخمسة، والوفاء بالعهد
أمام الله يتضمن الالتزام بالتضحية بالوقت والجهد والمال ليتحقق
الحق والعدل، حتى أن هذا العهد قد يتطلب التضحية بالنفس من
أجل الحفاظ على الحق، والجهاد يقضي باستعداد المؤمن لأن
يبدل كل ما يملك - حتى حياته - في سبيل الله، وربما أصاب
الإمام الغزالي عند كلامه عن روح الجهاد بقوله: الجهاد الحق هو
مُحاربة الشهوات.

والمعنى الأوسع والأشمل والأكثر شمولاً للجهاد هو
الجهاد الروحي والنفسي، إن من الغايات التي يسعى إليها الإسلام
هي إلغاء تعالي الإنسان على أخيه الإنسان، وأن يجتمع الناس
تحت حكم الله الواحد، إذاً فالجهاد هو كونك - تُريد وصدق
- رهن كل ما لديك بما في ذلك حياتك وطريقة حياتك لتحقيق
هذا الهدف.

كما أن الجهاد للفوز بكبح جماح النفس والتغلب على رغباتها الطبيعية والجسمية ليحل مكانها رغبات أعلى وأنبلى روحياً، وهذا أيضاً يشترك فيه المسيحيون الصادقون.

ولو أخذنا بعين الاعتبار تعاليم السيد المسيح حين خاطب تلاميذه مُوضحاً ما سيواجهونه من مصاعب في سبيل اتباع تعاليمه والاقتراء به، ونبههم إلى ضرورة تبديل غاياتهم ورغباتهم وحاجاتهم الطبيعية بكل رضى برغبات أبدية، ومثل هذا التغير المُفاجئ لا يُمكن أن يتم إلا عن طريق ضبط النفس وإنكار الذات:

(حينئذ قال يسوع لتلاميذه إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني ٥ فإن من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها ٥ لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه). (متى: 16 / 24 - 26)

ويُطلب من المسيحي والمسلم أن يجعل جهاده حياة تُؤثر في مجتمعه وبيئته إلى درجة تُفضي إلى التغيير المنشود، وقد كرر الرسول بولس كلام المسيح في دعوته المسيحيين كي يُطوّعوا رغباتهم الطبيعية والجسمية روحانياً:

(ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء
والشّهوات ۞ إِنَّ كُنَّا نَعِيشُ بِالرُّوحِ فَلِنَسْلُكْ أَيْضاً بِحَسَبِ
الرُّوحِ) (غلاطية 5: 24 - 25)

والملاحظة الشائعة والقناعة لدى العامة هي أن الأقطار
الإسلامية اليوم غير مُتسامحة مع الأديان الأخرى، لدرجة أنها
تضطهد وتسجن وتُجبر مواطنيها على أن يُسلموا، وأن ذلك يُعتبر
من الجهاد، وهذه الشائعة بكل بساطة ليست صحيحة، ولا ننكر
حقيقة وجود مُضايقة للمسيحيين في قليل جداً من الأقطار
الإسلامية، وفي بعض الحالات يُمنع تغيير الدين، وهذه الأقطار
من الشواذ، وبكل تأكيد ليس ذلك طبيعة ولا قاعدة.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ
تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: 99]

ربما تكون باكستان مثلاً لأمة إسلامية تحمي وتُطَبِّق
وتُمارس حق الحرية الدينية لجميع مواطنيها، وباكستان هي أكبر
الأقطار الإسلامية بعد أندونيسيا، وقد سافرت عدة مرات إليها
بشأن نكبة شعب كشمير وحقوق الإنسان.

ولقد عملتُ وقابلتُ كثيراً من مواطنيها ومن كل طبقات المجتمع، من رؤساء ومُثقفين وكتّاب وكثير من المواطنين العمال، ولم أواجه - كمسيحي - بأيّ شكوى أو ظلم أو ازدراء موجه لذاتي أو لعقيدتي.⁽¹⁾

يقول العالم المسلم يوسف علي: إن الإكراه لا ينسجم مع الدين، لأن الدين يعتمد على الإيمان والإرادة الحرة، وهذه الأهداف تكون بلا معنى إذا طبقت بالقوة.

ومن المؤسف أن الإسلام قد صُوّر على أنه دين السيف، وكما لاحظنا في الفصل الثاني فقد انتشر الإسلام بالإقناع لا بالقوة العسكرية، وفي تلك الأحوال التي استُخدمت بها القوة سواء أكانت من قبل أي قائد مسلم أو في أيّ بلد إسلامي اليوم، فهي من ناحية العدل تُخالف صلب الإسلام الذي يعتمد على الاستجابة الاختيارية لرسالة الله، فأتباع الإسلام وكذلك أتباع المسيحية الحقّة واليهودية الحقّة أو أيّ دين آخر كلهم مجمعون

(1) أصدر المؤلف كتاباً خاصاً عن الأزمة الكشميرية بعنوان (Valley Of Death) وادي الموت، ضمنه خلاصة ما رآه وشاهده من المآسي التي يخلفها الصراع في كشمير بين الهند وباكستان، وأظهر جوانب فريدة من الحقوق الإسلامية في كشمير.

على أنه لا مُبرر لاستعمال القوة أو الإكراه في الدعوة لمعتقداتهم الدينية.

❖ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ [سورة البقرة: 256]

وكذلك في قوله تعالى:

❖ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [سورة النحل: 125]

إن إشاعة تعبير الحرب المقدسة على هذا الشكل في وسائل إعلام الغرب تقتضي دراسة دقيقة، إن هذا التعبير - أو الجملة - هو ما يردده دوماً ويرجع إليه أولئك الذين قضت مصالحهم الشخصية أو السياسية بإظهار الإسلام على أنه الشيطان - نَسَبُ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى الشَّيَاطِينِ - وكما أنه يجب دراسة وفهم جميع التشويهِات والمفاهيم الخاطئة لتعاليم

الإسلام وعقيدته، كذلك يجب دراسة وفهم الحرب المقدسة ضمن حدود حقائق التاريخ.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ

اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ [سورة البقرة: 190]

والإسلام كالمسيحية، منذ بدايته كان ديناً جديداً قاومه سكان الجزيرة العربية الذين كانوا يعبدون أصناماً متعددة وآلهة متنوعة.

ولما حاول النبي ﷺ وأصحابه الأوائل إعلان إيمانهم، قوبلوا بالسخرية والاستهزاء، ومن ثمَّ باعتمادات جسدية عنيفة، وقد فُصل هؤلاء المسلمون عن المجتمع المكيّ، ولم يكونوا قادرين على التبشير بدينهم علناً، وكانوا محرومين من البيع والشراء في الأسواق ومن الزواج من غير أتباع عقيدتهم، وأخيراً أنهى المشركون هذه المقاطعة بعد أن فقدت فعاليتها.

لكن الاضطهاد ظل مستمراً، إلى أن عقد زعماء القبائل المسيطرة اجتماعاً سرّياً، واتفقوا على أن تختار كل قبيلة مقاتلاً منها، وأن يجتمعوا معاً لقتل النبي ﷺ أثناء نومه في فراشه.

ويروي التاريخ الإسلامي كيف أن الله أرشد محمداً ﷺ ليُغادر مكة، ويذهب إلى المدينة لينضم إلى المسلمين الذين كانوا قد فرّوا تخلصاً من الاضطهاد، وهذا الحدث أصبح معروفاً بالحدث العظيم أو الهجرة، وهذا الحدث هو بدء تاريخ الإسلام، وبدء التقويم الإسلامي.

واستمر العدوان الجسدي آخذاً بالتفاقم إلى أن أُجبر المسلمون أخيراً على القتال دفاعاً عن أنفسهم، فشكّلوا جيشاً، وبما أنهم أصبحوا مظلومين لا ظالمين، أنزل الله - سبحانه وتعالى - وحياً جديداً على الأمين:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُفْرًا
خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ
عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا

أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
لَهَدَمَتِ صَوَامِعَ وَبِيَعَ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ [سورة الحج:

[40 - 38

وإني لأمل من القارئ الكريم أن يتفهم أخيراً أن صورة
وَمُسْتَوَى الجهاد - والمعروف عند العامة بالحرب المقدسة - بدأ
كنتيجة مباشرة للضغط الذي كان يُمارس على المسلمين آنذاك.

وتشير الآيات القرآنية إلى أن القتال كان - وما زال - ذا
طبيعة دفاعية محضة، وفي الحقيقة إذا كان بعض القادة
السياسيين المسلمين والحكومات أو الأنظمة تُثير الحروب
والاعتداء في أيّ مكان، فإنهم يفعلون ذلك دون أيّ سند مؤيد
من القرآن أو قدوة بالنبي محمد ﷺ، وقد حافظت المسيحية
والمسيحيون على الاعتقاد بأن المسيحية تُبرر لهم المشاركة في
الحرب طالما أنها مشروعة من وجهة نظرية الحرب العادلة،
وكذلك الإسلام يعتمد على قواعد ومعايير دقيقة جداً لإعلان
جهاد مُحَقَّقٍ، ويمكن للمسلم أن يُشارك في الجهاد بالسيف إذا

كان يُدافع عن نفسه أو عائلته أو بلده أو دينه، أو دفاعاً عن
إخوانه المسلمين المستضعفين والمظلومين.

الخلاصة:

يروى التاريخ أن كل الديانات الرئيسية خاضت حروباً مقدسة ضد المنكرين من أقوامهم، وأخيراً مرّت عشر أجيال منذ أن كانت الجيوش المسيحية تُحارب في البلقان، مدفوعة بنظرية ثابتة وبتقليد واضح موروث، حتى ربحت الأرض بالحرب ضد الأتراك في البلقان.

والعنف المقدس الحديث عند مسيحيّ اليوم محصور بالكنائس في البلدان الفقيرة، مع أنه يمكن أن تُعزى الحرب الأهلية في لبنان إلى الحنين لذكرى العهد الذهبي الرومانيكي، وذكرى الحكم الصليبي اللبناني الماروني الذي خضعت كنيسته لروما عام 1180.

وكذلك يبدو أن الكروات والصرب قد جعلوا مصائب وانتصارات حروب البلقان ضد الأتراك عملاً رومانتيكياً، وأن المأساة الإنسانية الحديثة التي جرت في يوغسلافيا السابقة، والتي كان هدفها الأساسي الإبادة الجماعية للمسلمين تحت غطاء التطهير الديني، يُمكن أن تُنسب إلى نظرية المسيحيين الخاصة بالجهاد تقليداً لأجدادهم الصليبيين.

إن كلاً من المسيحيين والمسلمين خاضعون لسلطان الله، وكلاهما ممنوع من إثارة الحروب ضد السكان المدنيين الأبرياء في العالم، وكلاهما مخوّل أن يُدافع عن نفسه، وعن من يُحب، وعن العجزة والمظلومين، ومما يُحزنُ أنّ كليهما مُذنب، لأنه سمح بتَسْييسِ دينه في الماضي والحاضر.

إن أُمْنِيَة المؤلف أن يخدم هذا الكتاب الغاية المزدوجة في تنوير الحقائق التاريخية، لتتوصل بها إلى تسامح واحترام متبادكَيْن بين المسيحية والإسلام، وأن تُمنع حروب صليبية جديدة مثل العنف الذي وقع عام 1990م (حرب الخليج الثانية) وأن يلتقي المجددون المسلمون مع حركات الإحياء المسيحي بطريقة إيجابية.

الفصل السادس
الإسلام والمسيحية
وئام أم صدام!؟

الإسلام المعاصر

في الوقت الذي أكتب فيه هذا الكتاب، يستمر نمو الدين الإسلامي ليصبح أسرع الأديان نمواً في العالم، وإن ما يقارب من مليارين من ستة مليارات من سكان العالم يعتنقون دين الإسلام، وقدم القرن الجديد يعدُّ بأن يقدم نظرة عالمية جديدة متغيرة وبعيدة كل البعد عن النظرة الشائعة لدى سكان العالم في الوقت الحاضر، وبما أن الإسلام يتابع ظهوره من جديد - بصفته أكثر الأديان أتباعاً في العالم⁽¹⁾ - فلسوف تخضع الأوضاع السياسية والاقتصادية لتغيرات جذرية، وستتبدل الأحلاف القديمة ليحل محلها أحلاف جديدة، وستختفي الحدود التي صنعها الدم والحديد.

وفي هذا الفصل السادس والأخير سنتابع الإجابة على أكثر الأسئلة شيوعاً والتي تتعلق بالإسلام المعاصر، كما سندرس إمكان تعاون المسلمين والمسيحيين ليعملوا معاً من أجل قضية السلام.

(1) يصرح المؤلف هنا بأن الإسلام أصبح أكثر الأديان أتباعاً في العالم، وهو تصريح هام جداً من مفكر غربي، ومع أننا لا نزال نفتقر للإحصائيات الدقيقة في هذا الجانب ولكن من المؤكد أن الموسوعات الغربية بدأت تدرك خطأ التصور الذي كانت تتبناه من جعل الإسلام ديناً ثالثاً في العالم، وفق موسوعة بريتانكا فإن المسلمين أصبحوا الدين الأكبر في العالم منذ كانون الأول عام 1999م بالنظر للرقمين اللذين تقدمهما عن عدد المسيحيين والمسلمين وتزايد المسلمين بنسبة 0.4/2⁰ انظر: دول العالم، ط/دار طلاس.

هل كل العرب مسلمون؟ وهل كل المسلمين عرب؟

ثمة تصور آخر غريب وشائع جداً عن الإسلام، وأصل هذا التصور المزعوم ما نشر في المؤلفات التاريخية عند الغربيين، وتؤكد هذه المزاعم أن منشأ الإسلام كان من سكان الجزيرة العربية وبهم ومن بينهم، ذلك وحيث أن كتابة القرآن كانت باللغة العربية وأن على المؤمنين تعلم اللغة العربية قراءة وكتابة فقد بدا كنتيجة منطقية أن الإسلام دين عربي، وهذا خطأ بلا شك.

ولا بد أن يُصدم أهل الغرب عندما يعلمون أن أكبر الأقطار الإسلامية وأكثرها سكاناً ليست عربية على الإطلاق، وغالباً ما تقع في آسيا، ومثال على ذلك:

القطر	عدد السكان
أندونيسيا	185 مليون
الباكستان	120 مليون
بنغلاديش	113 مليون
إيران	60 مليون

حتى أنه في الأقطار الغير مسلمة هناك سكان مسلمون أكثر مما يوجد في الشعوب العربية، مثال ذلك:

الهند 140 مليون
الصين 100 مليون
الاتحاد السوفيتي السابق 60 مليون

ومن المهم أن نلاحظ أن هذه الأرقام بازياد مستمر طالما أن سكان هذه الأقطار بازياد دائم، وإن انهيار الاتحاد السوفيتي السابق أدى إلى الانقسامات المستمرة، وعادت النزعة الدينية من جديد، أما عدد المسلمين في الغرب فمن الصعب جداً حصره، نظراً لاستمرار الزيادة بسبب الهجرة والعوامل الأخرى.

والحقيقة أن فرنسا وألمانيا وبريطانيا جميعها قلقة جداً من تزايد هجرة المسلمين إليها خلال العقد الماضي، لذا سنوا القوانين الصارمة لإيقاف ما تُحدّر منه دائماً وسائل الإعلام الغربية وتدعوه بالغزو الإسلامي، ويُعتقد أنه يوجد في أمريكا أكثر من ثمانية ملايين مسلم وهم في زيادة مستمرة.

وفي حلول عام 1997 أصبح الإسلام ثاني أكبر الأديان في أمريكا، ومع أن المجتمع الإسلامي مسالم ومكبوت فقد أظهر تأثيره إجمالاً على السياسات المحلية والقومية باتباع الطريقة

الأمريكية بتشكيل منظمات وجمع الأموال لدعم أصدقائهم المرشحين في الانتخابات، والوقوف في وجه خصومهم في السياسة، ومن أروع الأمثلة لخبرتهم السياسية إبطال قانون بريسلر الذي طال أمده والذي حال دون بيع الأسلحة للباكستان.

إن أعضاء مجلس الشيوخ والكونغرس وحتى الرئيس ونائبه متعاطفون ومتجاوبون مع مطالب المجتمع الأميركي المسلم، وكان الاحتفال الذي أقيم بمناسبة عيد الفطر في البيت الأبيض برعاية هيلاري كلينتون زوجة الرئيس بيل كلينتون في نهاية شهر رمضان المبارك هو الحدث الأهم بالنسبة للمسلمين عام 1996، وهذا هو العيد الأول الذي يُحتفل به في البيت الأبيض، إذ لم يسبق أن أُحتفل به هناك، وهذا بكل تأكيد يعكس أثر الإسلام المستمر على أمريكا ومواطنيها وحكامها.

وما زال وجه أوروبا والغرب في تغير مستمر نظراً لاستمرار زيادة عدد المسلمين فيها وازدياد المساجد والمراكز الإسلامية، وظهور النساء المسلمات بالحجاب، ووجود المدارس والجامعات

الإسلامية التي أضحت أكثر ارتياداً من ذي قبل، واندماجها مع العادات والثقافات الغربية.

ولقد عينت الحكومة الاتحادية في الولايات المتحدة قسيسين مرشدين للقوات المسلحة وكذلك فعلت إدارات السجون الاتحادية وكثير من الولايات تبعتها، بأن جندت مصلحين مسلمين في منظماتها الجنائية، ونُسحُ القرآن اليوم - أي المصحف - متوفرة في مختلف الأمكنة المخصصة للعبادة العامة الموجودة في أكبر محطات القطار والمطارات، واليوم يُطلب كثيرٌ من المرشدين المسلمين ليعملوا في عدة مشافٍ رئيسة، والتي يعمل في بعضها عددٌ منهم، وكذلك في دور الرعاية في مختلف أنحاء أمريكا.

إسهام الإسلام بالحضارة أفاد جميع البشر

المركزية الأوروبية وهي اعتبار أن جميع المكتشفات والاختراعات والابتكارات ورفي البشرية يمكن أن تُعزى جميعها للثقافة الأوروبية البيضاء السائدة، ويقال إن المديّة والدراية هما حكر على الثقافة الأوروبية، وهذا الخداع والتضليل واضح جداً في كتب التاريخ الشهيرة مثل كتاب (التاريخ العام) لمؤلفه ألفرد رامفلد المنشور عام 1892، إذ أن من بين 291 فصلاً التي تحكي عن تاريخ العالم فإن 250 فصلاً تتكلم كلها عن أوروبا.

ولا بد أن نشير إلى أن أوروبا البيضاء كانت تتخبط في ظلام دامس في العصور المعروفة بعصور الظلام التي دامت منذ القرن السابع وصولاً للقرن الثالث عشر، بينما تقدم العالم الإسلامي خلال هذه الفترة والتي عرفت بالعصر الذهبي للإسلام، وإني أقترح على القارئ أن يطلع على القائمة التي في آخر الكتاب، ليتعرف على إنجازات الإسلام، وإليك بعضاً من هذه الإنجازات الهامة:

1- في الفن:

إن تحريم رسم أشكال الإنسان التي يمكن أن تصير موضوع عبادة أو تقديس موجود في القرآن والكتاب المقدس، وكذلك في أقوال النبي محمد، وهذا بدوره شجع على ظهور الفن التجريدي الذي تبلور في ثلاثة أشكال أساسية:

* الهندسية: الرسم لأشكال هندسية معقدة باستخدام المربعات والمثلثات والمستطيلات.. الخ، وهذا الفن يُشاهد في كثير من الفن الحديث.

* الأريسيك: فن يعكس وحدة الخلق ووحداية الخالق، ويتألف هذا الفن من خطوط متقابلة ومتواصلة وورود متشابكة ودوالي مجدولة ومنحنيات محبوكة تعكس النمو والتغير والحركة.

* حسن الخط: الإسلام كالمسيحية يرتبط بالكامل مع كتابه المرشد وهو القرآن، والخطاطون المسلمون المخلصون عملوا جاهدين كي يجعلوا المصحف يروق للعين كثيراً، فحسن الخط وترتيل القرآن أصبحا من أكرم المواهب عند المسلمين.

* فن الهندسة المعمارية: إن ملايين السواح تشعر بالرهبة عند النظر إلى تاج محل في أكرا في الهند، وإلى المسجد الأزرق في استنبول في تركيا، وإلى مسجد شاه في أصفهان في إيران، وإلى مسجد باد شاهي في لاهور في باكستان، وتقديراً لفن العمارة الإسلامي اعتمدت المساجد الكتابة بصيغة معمارية، اللاهوت في النقش، ولقد اتبُعَ الفن المعماري الإسلامي في جميع أنحاء العالم وخاصة في أوربا وشمال أمريكا، وغالباً ما يُشاهد ذلك في البيوت الأمريكية الخاصة، والتي تُعتبر الأكثر روعة، وكذلك في أبنية الدوائر الرسمية وفي مجمعات التسويق، حتى في مبنى الكونغرس الأميركي بواشنطن.

2 - العلوم:

وقد قدّم العصر الذهبي الإسلامي للعالم العديد من العبقريات في مختلف حقول العلم منها: الرياضيات، الفيزياء والطب، وقد عُرف أيضاً بالعصر الأدبي، ففي القرن الثامن كانت بغداد هي المركز الثقافي العلمي الذي لا يُضاهى في العالم،

وكان بيت الحكمة الذي أسسه الخليفة المأمون - الذي حكم من 813 إلى 833 - يقوم بتدريب العلماء المسلمين والأئمة الذين أخذ عنهم الأوروبيون معرفتهم بالفكر الأدبي الكلاسيكي، والفلسفة اليونانية القديمة.

إن عصر النهضة الأوروبية مدين للغاية لما ساهم به علماء الدين الإسلامي، وذلك ما تشهد به لوحة رافائيل الشهيرة والمعروفة بمدرسة أثينا التي يظهر فيها أثر المسلمين.

1- الفيزياء: كان المسلمون أول من اخترع الساعة ذات الرقاص والبوصلة المغناطيسية والأسطرلاب، وقد اخترعوا أدوات دقيقة لقياس أوزان خاصة وعوامل الجاذبية، وابن الهيثم الذي مات 1039م كان مؤسس طب العيون، وذلك عن طريق دراساته لانعكاس الضوء.

2- الرياضيات: الجبر، كلمة عربية تعني جبر الأجزاء المكسورة، اكتشفها العالم الإيراني المسلم محمد بن موسى الخوارزمي في سنة 950م، وأخذ رقم الصفر من الهند، وأسس نظام العد الذي يُعرف اليوم بالأرقام العربية، كما طور العلماء المسلمون علم الهندسة المسطحة والمثلثات التي نسبها الغرب لنفسه.

3- الطب: إن أول مشفى في العالم بشكله الذي نعرفه اليوم كان في بغداد عام 706، وفي القرن العاشر كان في بغداد مدرسة للطب مجهزة بطاقم كامل من موظفين وأطباء، ومشاف ومستوصفات وصيدليات ومكتبات، وجميعها تعمل في بغداد، وكان الأطباء المسلمون أول من:

آ - استعمل التخدير أثناء العمليات الجراحية.

ب - كوى الجروح.

ج - اكتشف عدوى الأمراض باللمس وبالهواء.

د - أوجد مشفى للإسعاف محمولاً على ظهر الجمل.

هـ - فصل بين الصيدلة والطب وكتب الوصفات الطبية.

وفي القرن العاشر كان الأطباء المسلمون يجبرون كسور العظام ويقومون بالجراحة السرطانية، ويجرون عملية السّد في العين، والعمليات الجراحية في الرأس - الجمجمة - .

وفي عام 925م كان أبو بكر الرازي يمارس المعالجة الموسيقية ويُميّز بين الجدري والحصبة، وكان عالماً بطب الأطفال.

الخلاصة: لا يتسع هذا الكتاب ولا الوقت لتعداد إنجازات الإسلام والمسلمين، فثمة إنجازات كثيرة ومهمة نجدها في الأدب والشعر والنثر والفلسفة وعلم الفلك.

مسيحيون ومسلمون من أجل السلام (Camp)

بدأ التفكير في إنشاء الكامب في عام 1970 حلمًا يراودني في اجتماع المسيحيين والمسلمين في العمل من أجل السلام، يوم كنت أدرس علم الآثار القديمة في فلسطين، ذلك البلد القديم، وكنت على صلة يومية بالعمال الفلسطينيين الذين كنا ندفع لهم أجورهم لقاء عملهم في مشاريعنا للتنقيب عن الآثار، وقد فوجئت أنا وبقية الطلاب الأمريكيين والكنديين والبريطانيين لما وجدناه عند العرب الفلسطينيين بالمسلمين من إيمان عميق راسخ، وفي كل يوم عندما كنا نكدح معاً في تلك الحرارة القاسية وتحت شمس الصيف المحرقة نقب عن آثار الأباطرة والملوك البائدة.

كان هؤلاء الرجال المسلمون يتوقفون عن العمل، ويتوجهون نحو مكة، ويصلون لله عند الدعوة للصلاة التي يتردد صداها من مئات المآذن في أرجاء القدس، بل في أرجاء فلسطين

والشرق الأوسط والعالم كله، واستجابة لكرم الشعب الفلسطيني الصادق ودعوتهم إياي بحرارة، كنت ألبى دعوتهم فوراً، ليس في مشاركتهم بالطعام في بيوتهم وعاداتهم فقط، بل وبالصلاة معهم صلاة المغرب في قبة الصخرة وفي المسجد الأقصى.

في ذلك الوقت كان هذا هو السبب الذي بدأت فيه دراسة القرآن والإسلام لنفسي، وفوراً اكتشفت المقدار الهائل من المبادئ المشتركة بين إيمان المسيحي والإيمان بصدق تعاليم الإسلام.

وكان ذلك دافعاً لأن أتصور وأتوق إلى الصلة التي يجب أن تقوم بين المسلمين والمسيحيين، وبين الإسلام والمسيحية، وعلى مستوى العالم كله، لا كما كانت قائمة على عدم التسامح والشكوك المتبادلة بين الطرفين ولكن عن طريق إيجاد الأرضية المشتركة التي تحدو بهم ليعيشوا ويعملوا معاً بسلام.

وفي عام 1987 كنت ضيفاً في منزل المفتي العام لسوريا، سماحة الشيخ أحمد كفتارو، وقضيت وزوجتي عدة ساعات نتناقش معه عن الإسلام والمسيحية، وبعد استعراض

اختلافاتنا، بدأنا نركز اهتمامنا على مبادئنا المشتركة، فطال البحث عدة ساعات، وعند مغادرة المنزل الذي يقيم فيه المفتي العام قال: لدينا الكثير مما نشترك فيه، ونحن في نفس المعسكر. وفيما بعد، وفيما أنا بالطائرة متوجهاً إلى لبنان كتبت كلمة، كامب من أوائل كلمات الجملة - المسيحية والإسلام من أجل السلام - (Christian And Muslims For Peace).

وكامب: منظمة مؤلفة من مسيحيين ومسلمين مواطنين من مختلف أنحاء العالم، والذين يعتقدون أنهم إذا عملوا معاً في مجتمعاتهم استناداً لما بينهم من مبادئ مشتركة في دين كلٍ منهم، فلا بد من أن تنتهي الحروب والصراعات القائمة حالياً، والتي يعارض فيها كل طرف الآخر، وبذلك يمكن تجنب حروب وخصومات جديدة.

وكامب: عضويتها مفتوحة لكل من يريد من المسلمين والمسيحيين، ممن يتطلع إلى رؤية العالم، وقد تحرر من الحروب والآلام، والذين يؤمنون حقاً بأن الله - سبحانه وتعالى - يأمر عباده المخلصين بأن يكونوا صانعي السلام، وذلك من الرجال

والنساء الذين يريدون أن يمدوا أيديهم بالصدقة والأخوة لأقرانهم
من البشر، ويتجنبوا عداوة المظالم السياسية والثقافية.

الحاجة الملحة إلى حوار هادف

في الوقت الذي يُرسل هذا الكتاب للطباعة في العام 1998، نجد أن المسيحيين والمسلمين ما زالوا منخرطين في صراعات ضارية وحروب أهلية - داخلية - في إفريقيا وآسيا وأوروبا وفي الشرق الأوسط.

وفي السودان يتهم المسيحيون في الجنوب الحكومة في الشمال بأنها تعمل على إبادةهم، فترسل جيشها ليهاجم المدنيين العزل من السلاح في القرى النائية، فتُخطف نساؤهم وأطفالهم ليُباعوا أو يُستخدموا كخدّام، في حين تتهم الحكومة الإسلامية في الشمال - في الخرطوم - الجيوش المسيحية - وخصوصاً تلك التي تسمي نفسها جيش الإله - بأنها تحرض السكان المدنيين على الحرب، وتُجنّد الأولاد وهم في سنّ الثامنة والعاشرة من المدنيين وبالقوة تحت اسم أنهم في صفوف المتطوعين.

وفي أذربيجان ما زالت الحرب مستمرة منذ تسع سنين بين الحكومة المسلمة وقوات الأرمن المسيحية التي تحتل الآن المنطقة التي تجري فيها الحرب المعروفة بـ (ناغورنو كاراباخ)، وقد طردت هذه القوات الملايين من المسلمين المدنيين من بيوتهم، وشردت عائلاتهم، وأبعدتهم عن وطنهم ومنازلهم التي عاشوا فيها قروناً عدّة.

وفي كل مكان من آسيا ما زال الصراع قائماً بين المسيحيين والمسلمين، إذ أن المساجد والكنائس تُحرق وتُدنَّس ويُعتدى على أئمة مسلمين ورهبانٍ مسيحيين ويُقتلون، وتهاجم قرى كاملة قرىً أخرى بكاملها، وغالباً ما تقتل وتُمثَّل بأعدائها، وكثيراً ما تحرقهم، أما اغتصاب النساء - سواء كُنَّ شابات أو مسنات - فهي العادة الشائعة عند الطرفين.

أما في البوسنة فإن المسلمين والمسيحيين يعتبرون أن الحرب الدموية ستستأنف من جديد في يوغوسلافيا الحليفة للاتحاد السوفيتي، السابق بمجرد أن تنسحب قوات الأمم المتحدة وقوات الولايات المتحدة من المنطقة، لذا فهم يتسلحون استعداداً لمعاودة هذه الحرب الدموية.

وفي دول أوروبا الغربية يتبادل المسيحيون والمسلمون البيانات القاسية والاتهامات، وأضحت المظاهرات والمسيرات ضد المهاجرين المسلمين أمراً شائعاً، وفيما يزداد البغض وعدم التسامح، تُحرق دور مشاريع الإسكان.

أما في الولايات المتحدة ففي كل يوم تظهر في المطبوعات وعلى وسائل الإعلام الاتهامات بالإرهاب، ويستحوذ الخوف والارتياح والشك على المواطنين الأمريكيين في المدن والمدارس والأماكن العامة.

ما هو الردُّ؟ وماذا يمكن أن نفعَل؟

في تلك الأقطار حيث ما زالت الحرب الفعلية قائمة بين أولئك الذين يدعون بأنهم مسيحيون أو مسلمون، يجب أن يُواجه كل من الزعماء والمواطنين بالأرضية المشتركة، والتي يشترك فيها الدينان العظيمان كلاهما، والتي ذُكر بعضها في هذا الكتاب، وعلى رجال السياسة والجنرالات قادة الجيوش أن يواجهوا الحقيقة وهي أن لا الكتاب المقدس ولا القرآن يغفر الحروب العدوانية، وأن الاغتصاب والتعذيب محكوم عليهما بالشجب، وأن أخذ أيِّ إنسان من أيِّ مكان في العالم لجعله عبداً هو ظلمٌ غير مبرر، وخصوصاً في القرن الحادي والعشرين المقبل.

ولا يمكن لمؤمن مخلص يصف نفسه بأنه عبداً لله سواء أكان من جنرالات الجيش أو من رؤساء الجمهوريات أو رؤساء الوزارات، أو من الرعية أو الأئمة، أو من الفقراء أو من الأغنياء، من الجاهلين أو المتعلمين، لا يمكن لأحد أن يدعي أن الله - سبحانه وتعالى - يؤيد أو يوافق على بربريته والوحشية التي يعامل بها إخوته في الإنسانية.

برامج كامب ومشاريعها تعطيك الجواب!

إن الأمل الوحيد لمعرفة الحل والقضاء على الحروب والأعمال العدوانية وعدم التسامح بين المسلمين والمسيحيين هو البحث عن الحوار وتشجيعه، وهذا هو حصراً هدف وعمل كامب إذ يجتمع عن طريق منظمة كامب مسلمون ومسيحيون معاً ليدرسوا حاجات قراهم ومدنهم ومملهم، وبتعاون المسلمين والمسيحيين معاً، يحقق الإسلام والمسيحية - هذان الدينان العظيمان - أوامر الله الأساسية، والتي جاءت في العقيدتين كليهما بأن يعتنوا بالفقير والمتشرد والعاجز والبريء، وأن يُظهروا الرحمة والعطف والتسامح في صياغة السياسة وحياة البشر اليومية، وعن طريق جماعة كامب يُطعمُ ويُكسى كثيرٌ من الفقراء والجائعين، ويُعتنى بالأيتام والأرامل، وتجتمع نساء مسلمات ومسيحيات أسبوعياً وبالتناوب في بيت كل منهن ليطبخن ويحضرن الطعام للجائعين، وتعمل المساجد والكنائس معاً ليؤمنوا الملابس المستعملة للمحتاجين، وكذلك يجتمع الرجال المسلمون والمسيحيون معاً في مكتب أو مركز كامب للبحث في كيفية تقديم المساعدة لإعادة بناء منازل جيرانهم التي دمرتها الحرب أو الكوارث الطبيعية.

وبواسطة كامب يمكن لرجال السياسة وللجنرالات
العسكريين - مسيحيين ومسلمين - أن يجتمعوا وجهاً لوجه،
ليتوصلوا إلى إنهاء صراعاتهم، وهم يعلمون أن منظمة كامب حيادية
وغير متحيزة، وأنها تسعى لإقرار السلم والعدل والمصالحة.

وكامب تشرف على منتجع أسبوعي للشباب المسيحيين
والمسلمين، يدرسون خلال إقامتهم الأرضية المشتركة بين
ديانتهم، ويهتمون بالطرق الكفيلة بإنهاء العداوات والظلامات،
كي يحيا العالم حياة سلم هائلة، يسودها الاحترام المتبادل مع
جيرانهم مسلمين كانوا أم مسيحيين.

كلمة أخيرة

عزيزي القارئ! سواء كنت مسلماً أم مسيحياً، فإن السؤال الأخير الذي عليّ أن أسألك إياه هو:

ماذا ستفعل بالمعرفة والمعلومات التي اكتسبتها من قراءة هذا الكتاب؟ وهل هذه المعرفة ستكون وبساطة كغيرها من المعارف التي اكتسبتها من قراءة كتاب آخر وتبقى طيلة حياتك محافظاً على التشوهات وسوء التصور والافتراءات الموروثة منذ أجيال عديدة؟

وهل تريد لنفسك أن تبقى في دوامة التيه الديني والتعاليم الموهوم، تهذي وتتخبط خبط عشواء بحق الدين الآخر وأتباعه المخلصين والمؤمنين؟

وهل ستبقى صامتاً وأنت برفقة إخوانك المؤمنين في الوقت الذي أصبحت فيه شخصياً أكثر سماحة نحو الإسلام أو المسيحية نتيجة لقراءتك هذا الكتاب؟

هل ستشكر الله على ما اكتسبت من بصيرة نافذة ونظرة
حق إثر قراءتك هذا الكتاب؟

وهل عقدت العزم على أن تبحث أكثر عن هذين الدينين
العالميين العظيمين، وعاهدت نفسك على أن تخبر الناس بما
اطلعت عليه من الحقائق؟

عسى أن تكون من أوائل الذين يقترحون إقامة ندوة حوار
في بلدك أو قريتك، حوار إسلامي مسيحي من أجل السلام، أملاً
بتأسيس مجموعة كامب التي ستعمل على خدمة المجتمع، ولقد
شجعني ما قام به البعض من مسيحيين ومسلمين في كثير من
أنحاء العالم بالعمل معاً، كما في الباكستان، حيث يدير
مسيحيون ومسلمون مشفى للجذام، وكما في أندونيسيا حيث
تضافرت جهود نساء مسلمات ومسيحيات على مقاومة استعباد
طبقة النساء المتخلفة بسبب الفقر والدعارة، وكما في الفلبين
حيث أسس مسيحيون ومسلمون هيئة للعناية بالمسنين والعجزة،
وفتحت المدارس والمستوصفات لأفقر الفقراء.

ومما شجعني أيضاً الترحيب في ليبيا بالنساء المسيحيات اللاتي عملن في ملاك الصحة المحلي، وفي خدمات العناية بالمرضى، حتى أنه مما شجعني تأسيس لجنة العدل والسلم في القدس والتي أصدرت بيانات جريئة تندد بالضغط المستمر على الشعب الفلسطيني، وتدعو إلى إقامة عدل وسلام دائمين، وفي أعالي مصر حيث تزور فرقة مؤلفة من مسلمين ومسيحيين قرى عديدة لتشجيعهم وتعليمهم تنظيم الأسرة.

وقد شجعني أيضاً المساعدة التي قدمها المسلمون الصادقون لضحايا القحط الذي أصاب كابو فيردي.

وشجعتني كذلك منظمات الإغاثة التي يعمل رجالها المسيحيون الصادقون في الحبشة والباكستان بالتعاون مع الجماعات المحلية المسلمة.

وشجعني ما جرى في لبنان حيث أن مطراناً أخبرني أن جماعة من المسلمين المتطرفين هدموا كنيسة، فما مضى وقت إلا وأعاد بناءها تجار محليّون مسلمون.

ومما شجعني ما جرى في ليبيا إذ ما أن انتشر خبر حاجة راهب والمجموعة المسيحية التي ترافقه إلى مكان ليقوموا بخدمة العشاء الرباني، حتى بادر مسلمو المدينة بأن سمحوا لهم بقيام تلك الخدمة في المسجد المحلي.

وهكذا نرى المسيحيين والمسلمين يعملون معاً في أنحاء العالم، ولقد حان الوقت لبنني مستقبلنا على أسس التحالف والتعاون القائمين، وأن الأوان ليعلم جميع المسلمين والمسيحيين وفي كل مكان الأرضية المشتركة التي بين الدينين وهي:

1- المنشأ المشترك للدينين كليهما: إذ أن جذورهما

موجودة في اليهودية التي جاءت في الكتاب المقدس، لذا فكلاهما يعير اهتماماً كبيراً للتوراة أو أسفار موسى الخمسة الأولى.

2- أبوة البشر المشتركة: إن الدينين كليهما يعتبران أن

اتباعهما هم أبناء وبنات إبراهيم.

3- رب واحد لهما: فكلاهما دين توحيد، وكلاهما يدعو الله الواحد الأحد بنفس الأسماء: منها: الخالق، الصمد، العزيز، الرحمن، الرحيم، وأن الله الذي لا إله غيره إنما يريد أن يجعل تاريخ الإنسان وحياته مثلاً أعلى للسلام والعدل والتآخي.

4- المعتقدات الدينية المشتركة: مثل الأمر الإلهي بنشر الإيمان في كل أنحاء العالم، وأنه يجب على الإنسان أن يتعلم العيش بمستوى روحي وخلقى ساميين، وأن توبة العاصي والرجوع عن عصيانه المتعمد للأوامر الإلهية ضرورة للحياة الأبدية، وأن على المؤمنين أن يتحروا عن الإرادة الإلهية في كل شؤون الحياة، وهذا ما يعنيه المسلم بقوله: إن شاء الله، وقول المسيحي: إرادة الإله.

5- الاعتقاد المشترك بولادة المسيح العذرية، والاحترام العظيم للسيدة مريم.

6- الإيمان المشترك بالأخريات: إذ أن كليهما يؤمنان بأن العالم وحياة الإنسان سينتهيان مع مرور العصور وبخراب العالم بالزلازل وبدخان هيولي، وكلاهما يعتقدان بعودة المسيح في اليوم الأخير.

7- الاعتقاد المشترك بالدينونة (المحاكمة الأخيرة): وذلك يوم يقف كل من عاش على الأرض في محكمة ليُسأل عن أعماله.

8- الاعتقاد المشترك بالبعث بعد الموت.

9- الاعتقاد المشترك بحياة الآخرة الأبدية إما في الجنة وإما في النار.

10- الدعوة المشتركة للمؤمنين كي يجعلوا إيمانهم إيماناً حياً بالجمع بين العقيدة والحياة، بين الصلاة والعمل، ويجب على المسلمين والمسيحيين أن يهتموا فعلاً بالحقيقة، وأن يقفوا إلى جانب البريء وينصروا الضعيف والمظلوم، ويقاوموا الظلم والشر والعدوان.

❁ دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ

وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❁ [يونس: 10]

❁ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ

الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً ❁ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ

عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً ❁ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا

سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ❁ [مريم: 60 - 62]

(وأما الحكمة التي من فوق فهي أولاً طاهرة ثم مسالمة

مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثماراً صالحة عديمة الريب

والرياء)



(رسالة يعقوب: 17، 3)

(طوبى لصانعي السلام, فإنهم سيدعون أبناء الله) (متى: 5،

9)




قائمة الكتب المقترح قراءتها

- علي عبد الله يوسف/القرآن الكريم/ ترجمة وتعليق ماك غروينغور اندويرنر، اينكوربوريشن/1946/.
- آرييري آرثجي/ ترجمة وتفسير القرآن/ نيويورك، شركة ماك ميلان للنشر    .
- بيكتال م. مرمادوك/ ترجمة معاني القرآن العظيم/ المكتبة الأمريكية نيو يورك    .
- عبد اللطيف حمودة/ الإسلام تحت المجهر/ منشورات إنديانا بوليس، إنديانا    .
- أحمد خورشيد/ الإسلام رسالة ومعنى/ مطبوعات لايسبيستر، إنكلترا: المؤسسة الإسلامية 1980.
- أحمد ممتاز/ الإسلام: سياسة الدولة والإسلام/ إنديانا بوليس، إنديانا ترست    .
- إسماعيل الفاروقي/ الإسلام/ إيلينوي، منشورات ارغوس    .
- م. محمود علي/ كتاب الجيب في الحديث/ لاهور، باكستان.

- سير أرنولد T.W / الخليفة/ أكسفورد، المملكة المتحدة
1924 U.K.
- عبد الرحمن عزام/ رسالة محمد الخالدة/ لندن: كوورتيت بوكز
1979.
- عبد الرحمن عزام/ رسالة محمد الخالدة/ ترجمة قيصر إي فرح/
نيويورك 1964.
- ريتشارد بيل/ مدخل إلى القرآن / مطبعة جامعة إيدنبورغ
.
- برغر مورو/ العالم العربي/ نيويورك: أنكور بوكز
.
- براسويل، جورج W ، JR/ الإسلام: رسوله، شعوبه، سياسته
وقوته/ برودامان و هولمان 1996.
- موريس بوكاي/ الكتب المقدسة والقرآن والعلم/ منشورات
نورث أمريكان أنديانا تراست 1979.
- كراغ كينيث/ نداء المئذنة/ نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد
1964.
- محمد والمسيحي/ منشورات أوريس 1984.

- - المسيح والمسلم/ لندن: منشورات جورج ألين أند أنونين
المحدودة 1985.
- كراغ كينيث ومارستون سبايت/ بيت الإسلام/ منشورات وادورث
للنشر 1988.
- .. الإسلام من الداخل/ منشورات وادورث للنشر 1980.
- جون دونو هو جي/ تحول الإسلام: نظرة المسلمين،/ نيويورك:
مطبعة جامعة اكسفورد 1982.
- دنزل، إي. فان/ المرجعية الإسلامية/ نيويورك بريبل
📁📖📑📚.
- إيسبو زيتو، جون/ التجديد الإسلامي/ ط/📁📖📑📚.
- - أصوات الإسلام المنبعث/ نيويورك: مطبعة اكسفورد
📁📖📑📚.
- سيزار فح/ الإسلام/ نيويورك: سلسلة بارون التثقيفية طباعة 1987.
- غلاسي سيريل/ الموسوعة المختصرة عن الإسلام/ سان
فرانسيسكو: هاربر دراو 1989.
- إيثفون حداد/ الإسلام المعاصر وتحدي التاريخ/ أديسون ينو
جيرزي: مطبعة جامعة نيويورك الولاية 1981.

- .. /مسلمو أميركا/ نيويورك مطبعة اكسفورد 1991.
- حميد الله محمد/ المدخل إلى الإسلام/ باريس: المركز الثقافي الإسلامي 1969.
- محمد حسين هيكل /حياة محمد/ منشورات التروست الأميركي 1976.
- تشارلز كمبل/ معاً في الكفاح/ الطريق إلى الأمام في العلاقات المسيحية الإسلامية/ نيويورك: كتب أوريس 1991.
- جيمس كريتيك/ التفاهم ما بين الإسلام والمسيحية في القرون الوسطى/ في دراسات مقارنة في المجتمع والتاريخ/ الجزء 1962/4.
- لويس برنارد/ العرب في التاريخ/ نيويورك: هاربر أند راو .
- .. الإسلام في التاريخ/ نيويورك مطبعة المكتبة 1973.
- فاطمة مرنيسي/ ما وراء الحجاب/ نيويورك مطبعة هالسييتد 1975.
- المحمدية الأصولية الإسلامية/ واشنطن مطبعة سيفين لوكس 1993.

- مجموعة البحث الإسلامية المسيحية/ تحدي الكتب المقدسة/ التوراة والإنجيل والقرآن/ مارينكل، نيويورك كتب أوربيس 1989.
- السيد حسين نصر/ مثل الإسلام العليا وحقائقه/ بوستون مطبعة بيكون 1972.
- ./ الروحانية في الإسلام/ نيويورك كردس رود، 1987.
- أوليري، ديلاسي/ الجزيرة العربية قبل محمد/ نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد 1977.
- باريندر جيفوفري/ المسيح في القرآن/ نيويورك مطبعة جامعة أكسفورد 1972.
- فيليب بارشال/ داخل المجتمع: فهم المسلمين من حيث تقاليدهم/ غراند رايدز كتب بيكر 1994.
- يوسف القرضاوي/ الحلال والحرام في الإسلام/ لاهور المنشورات الإسلامية المحدودة 1991.
- محمد سعود/ الإسلام وتطور العلم/ إسلام آباد مؤسسة البحوث الإسلامية 1988.

- شوون فريث جوف / فهم الإسلام / بالتيمور بنجوين بوكز
1972.
- سيميث ديليام / كانت ديل / الإسلام في التاريخ الحديث /
برينستون: مطبعة جامعة برينستون 1957.
- .. حول فهم الإسلام / منشورات موتون 1981.
- سبايت مارستون / الله أحد طريق الإسلام / نيويورك مطبعة
الصدائة 1989.
- مونتغمري وات / الإيمان والتطبيق عند الغزالي / شيكاغو منشورات كازي
1982.
- .. محمد الرسول ورجل الدولة / لندن مطبعة جامعة اوكسفورد 1977.
- زيب إيراجه Zepp Ira G.A / المسلم الأول ويست منيستر ويك
فيلد 1992.

الفهرس

- 7 مقدمة.
- هذا
- 34..... الكتاب
- 37 عزيزي القارئ
- 38 مدخل
- 39 ائتلاف أم اختلاف؟
- 45 الفصل الأول أصول الإسلام
- 47 ما معنى كلمة الإسلام؟ وما أصلها؟
- 49 هل تصح تسمية المسلمين بالمحمّدين؟
- 50 ماذا تعني كلمة مسلم؟
- 52 من هو محمد؟ أين ومتى عاش؟
- 55 اقرأ! ليلة الوحي
- 57 الفصل الثاني تاريخ الإسلام
- 59 كيف ولماذا أخذ الإسلام يضرّب جذوره وينتشر؟
- 61..... ما هي العقائد التي كانت سائدة في الجزيرة العربية
- 65 ما هو الرابط التاريخي بين الإسلام واليهودية والمسيحية؟

هل انتشر الإسلام عن طريق الخوف والقوة والحرب؟..... 69

الفصل الثالث القرآن وأركان العقيدة الإسلامية..... 75

ما هو القرآن؟ وكيف ومتى تم ظهوره؟..... 77

ألم يكتب محمد القرآن؟..... 78

هل للمسلمين كتب أخرى إلى جانب القرآن؟..... 82

ماذا يُعلِّم الإسلام عن الله؟ وهل أنه هو نفسه الذي ذكر في الكتاب

المقدس؟..... 84

ما هي عقائد الإسلام وأركانه الخمسة؟..... 89

لماذا يحج المسلمون؟..... 100

الفصل الرابع الإسلام والمسيحية والأرضية المشتركة بيننا 102

هل الله هو ذاته في كل من القرآن والكتاب

المقدس؟..... 109

ما هي حقيقة اعتقاد المسلمين بالمسيح عيسى عليه السلام؟..... 120

هل يعتقد المسلمون بصلب

المسيح؟..... 123

ما هي المواضيع الأخرى من الكتاب المقدس التي يتناولها القرآن؟

..... 129

الفصل الخامس التشويه الشائع للإسلامي والتصورات الخاطئة له....146

أَلا يعامل الإسلام النساء كأنهن ممتلكات؟ أَلَسْنَ يُعَامَلْنَ بِالْحَيْفِ؟. 152

آ- مظهر المرأة الروحي في القرآن..... 158

ب- وضع المرأة الاجتماعي في الإسلام..... 162

هل للنساء المسلمات حق الخيار في الزواج؟..... 165

ج- حقوق المرأة المالية في الإسلام..... 169

د- هل يرخص للنساء المسلمات الظهور أمام العامة؟..... 171

هل حقاً يجب على المرأة المسلمة أن تضع الحجاب؟..... 174

هل يدعو القرآن إلى الجهاد ضد الغرب؟..... 181

الفصل السادس الإسلام والمسيحية وثام أم صدام؟!..... 194

الإسلام المعاصر

189.....

هل كل العرب مسلمون؟ وهل كل المسلمين عرب؟..... 197

إسهام الإسلام بالحضارة أفاد جميع البشر..... 201

مسيحيون ومسلمون من أجل السلام Camp..... 206

الحاجة الملحة إلى حوار هادف..... 210

ما هو الردُّ؟ وماذا يمكن أن نفعل؟..... 212

برامج كامب ومشاريعها تعطيك الجواب!..... 213

كلمة أخيرة..... 207

قائمة الكتب المقترحة

215.....

221..... الفهرس



نحن المسلمين و المسيحيين معا نشكل اكثر من نصف سكان العالم هذا اليوم ، و ان
اي فهم افضل و تواصل و إقامة علاقات سلمية بين مجتمعينا ليست بالأعمال
الجيدة فحسب ، بل هي متطلبات جوهرية لخيرنا و خير هذا العالم باجمعه .
و هذا العمل المتمثل امامنا هو جهد قيم في هذا الاتجاه .
و اسي نعجب بمساهمة للدكتور وليم بيكر في بناء جسور التفاهم بين السحيين و المسلمين
و انا متفق معه ان ما لدينا من المشترك اكثر مما نعتقد او نتوقع .

Dr.Muzammi H .Siddiqi
president, The Islamic Society Of Northern America

ان القرن القادم سيشهد اما اختلافا او اتلافا بين الإسلام و المسيحية .
و برأوني حلم ان يجتمع المؤمنون الطيبون من كلنا الديانتين، و اذا اجتمعوا ان
يتعاونوا معا و ان يكتبوا تاريخا جديدا و تراثا جديدا للعالم ؛ من الصدام الى الوئام ،
و يتوحد على المؤمنين بالله الحقيقيين ان ينقلوا مجتمعنا من الصراع الى الإنسجام
و من التعصب الى التسامح و ان يصبح المسيحيون الطيبون و المسلمون الطيبون
شركاء في السلام .
و انا مقتنع ان هذا الكتاب للدكتور وليم بيكر سببت انه مساهمة فعالة في جمع
المسلمين و السحيين معا في سلام و احترام متبادلين .

Dr. Robert H. Schuller
Foundin Pastorg Of tge Crystal Cathedral

دار ندوة العلماء

هاتف 4344 فاكس 2771567
www.drkftaro.com

